حياة القلوب

تفسير كلام علّام الغيوب

سعيد بن مصطفى ذياب

مقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء الرابع عشر من تفسير: (حَيَاةُ الْقُلُوبِ تَفْسِيرُ كَلَامِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ)، أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يتقبله بفضله ومنه وكرمه.

وكتبه/ سعيد بن مصطفى دياب

الدوحة: في ٧ محرم/ ١٤٤٧هـ

٢/ ٦/ ٢٠٢٥م

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

تفسير سُورة الحجرِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (١) رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.[1]

بين يدي السورة:

سُورَة الْحجرِ مَكِّيَّة، وسميت بالحجر لورود قصة أصحاب الحجر فيها.

وشأنها شأن السور المكية التي نزلت تعالج قضايا العقيدة ومنها بيان حال الكفار وما ينتظرهم من المصير المحتوم إذا ماتوا على الكفر، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣]، ومن ذلك افتراء أولئك الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم لصد الناس عنه، وتنفيرهم عن دعوته، وتعنتهم في طلب الآيات منه؛ ﴿وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، ومن ذلك بيان حفظ الله تعالى لدينه ﴿وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

والرد على افترائهم، وأن شأن أهل مكة في تعنتهم مع رسولهم، واستهزائهم به هو شأن الأمم الغابرة مع رسلهم، وأنهم ما زادتهم الآيات إلا تكذيبًا، وإعراضًا؛ ﴿وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾.

ومن مقاصد السورة ذكر الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى وقدرته ومنها السماوات والأرض وما بثه الله تعالى فيهما من عجائب مخلوقاته، وما جعله الله تعالى في الأرض من المعايش وأسباب الرزق، ومن آياته النجوم والكواكب، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاها لِلنَّاظِرِينَ﴾.

ومن دلائل قدرته تعالى خلق الإنسان من صلصال، وخلق الجان من النار، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ﴾، وما في قصة خلق الإنسان من

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ١- ٣

العبر والعظات؛ ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾، وفيه تذكير لبني آدم بعداوة إبليس الأبدية لآدم عليه السلام وذريته، وما توعد به بني آدم من الغواية والإضلال: ﴿قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾. وانقسام الناس بسبب تلك العداوة إلى فريقين لا ثالث لهما فريق في الجنة وفريق في السعير.

ثم بيان عام من الله تعالى للثقلين الإنس والجن أمر رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بإبلاغه لهم: ﴿نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ﴾؛ ليأخذوا بأسباب المغفرة والرحمة، ويتجنبوا أسباب العذاب.

ثم ذكر الله تعالى أضياف إبراهيم عليه السلام وهم الملائكة حين دخلوا عليه فقال: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾، ثم بشروه بإسحاق وذكروا له العلة من قدومهم وأنهم أرسلوا بإهلاك قوم لوط لما أقاموا على كفرهم ولجوا في فجورهم؛ ﴿قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلاّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

ثم ذكر الله تعالى قصة الملائكة مع نبي الله لوط عليه السلام، وما جري بينه وبين قومة من المجادلة، ووعيدهم له، وما آل إليه أمرهم من الهلاك؛ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

ثم ذكر الله تعالى من قصص الغابرين قصة أصحاب الأيكة، وهلاكهم لكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم لرسولهم شعيب عليه السلام؛ فقال: ﴿وَإِنْ كانَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ لَظالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وَإِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ﴾.

ثم ذكر الله تعالى أصحاب الحجر وما أنعم الله تعالى عليه به من صنوف النعم ثم ما آل إليه أمرهم من الإهلاك بكفرهم وتكذيبهم لرسل الله عليهم السلام؛ فقال: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَآتَيْناهُمْ آياتِنا فَكانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ﴾.

ثم رد الله تعالى على المشركين الذين يزعمون أن السماوات والأرض خلقتا باطلًا وأن الإنسان خلق سدى وترك هملًا فقال تعالى: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.

ثم ذكر الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما أنعمم به عليه من إنزال القرآن وأن فيه سلوى عما يقوله له أعدائه من الزور والبهتان ليصدوا الناس عند دعوته.

ثم يذكر الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه تعالى يعلم ما يفتريه أعداؤه من الباطل وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يحزن لما يرمى به ثم أرشده الله تعالى للعلاج الناجع والدواء النافع الذي يذهب حزنه، وغمه، ويختم السورة بهذه الوصية الجامعة النافعة فيقول له: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾.

تقدم الكلام عن الحروف المقطعة في أوائل السور، في أول سورة البقرة.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾.

أي: تلك الآياتُ المنزَلة في هذه السُّورة وفي السور قبلها آيات الكتاب الذي أوحينا به إليك، والألف واللام للعهد المذكور في قوله تعالى: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وعرف لأنه صار علمًا على الكلام الموحى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل له: الكتاب؛ لأنه يكتب.

﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾.

أي: وهو قرآن يتلى ليبين الْحَلَال من الْحَرَام، وَالْحق من الْبَاطِل.

وجمع بين الكتاب والقرآن لأَن كل وَاحِد مِنْهُمَا يُفِيد معنى لَا يفِيدهُ الآخر، فَإِن الْكتاب هُوَ مَا يكْتب، وَالْقُرْآن هُوَ مَا يجمع بعضه إِلَى بعض، والواو للدلالة على الوصفين، وليست للمغايرة، وجعل أحدهما اسمًا والآخرُ صفةً؛ كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾.[1]

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

قرأ عاصم ونافع بالتَّخفيف: ﴿رُبَمَا﴾، والباقون بالتَّشديد: ﴿رُبَّمَا﴾، وهما لغتان.

ويود الذين كفروا لو كانوا مسلمين إذا رأوا كرامة الله تعالى للمسلمين يوم القيامة.

وَرُبَّ تأتي للتقليل، والمراد هنا على مذهب العرب في قولهم: لعلك ستندم على فعلك، وربما ندم الإنسان على ما فعل، ولا يشكون في تندمه، ولا يقصدون تقليله، ولكنهم أرادوا: لو كان الندم مشكوكا فيه أو

١ - سورة النمل: الآية/ ١

كان قليلا لحق عليك ألا تفعل هذا الفعل، وكذلك المعنى في الآية؛ أي: لو كانوا يودّون الإسلام مرة واحدة، فالواجب عليهم أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّون في كل ساعة لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

أي: دعْهُم يا محمَّد يتقلَّبوا في الدُّنيا ويتمتَّعوا بها، ويشغلهم طولُ الأملِ عن التَّفكُّرِ فيما خلقوا من أجله، فسوف يعلمون عاقبة غفلتهم، وهو تهديد ووعيد لأولئك الكفار الذين يحيون حياة بهيمية لا يعرفون فيها إلا المتع الدنيوية، ومعاقرة الشهوات.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَها كِتابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَما يَسْتَأْخِرُونَ (٥) وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ﴾.[1]

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما توعد الله تعالى الذين كفروا في الآية السابقة بقوله: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، بين الله تعالى هنا أن إمهاله لهم ليس لأنهم بمنأى عن العذاب إنما لأجل أجله الله تعالى لهم؛ فقال: وما أهلكنا من قرية من القرى التي حقَّ عليها العذاب من الأمم الغابرة، إلا ولها أجل مقدر وكتاب معلوم، سبق في علم الله تعالى، وجرى به القلم قبل خلق السماوات والأرض.

وإنما توسطت الواو في قوله: ﴿إِلَّا وَلَها﴾ لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف؛ كما يقال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب.

ومِنْ في قوله: ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾، للتبعيض، والمعنى أن هذا الحكم لم يحصل لبعض تلك القرى ولا لقرية واحدة؛ فيكون الحكم في إفادة عموم النفي آكد.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَما يَسْتَأْخِرُونَ﴾.

أي: لا تَسبِقُ أمةٌ حانَ هلاكُها عن ميقاتها ولا يتأخرون عن مدتهم، وأنث الفعل تسبق مراعاة للفظ (أمّة)، وذكر ﴿يَسْتَأْخِرُونَ﴾ حملا على المعنى.

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٤ - ٨

﴿وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

أي: وقال هؤلاء المشركون: يا أَيُّهَا الَّذي نُزِّلَ عليه القرآنُ على زعمِهِ، قالوه على وجهِ الاستهزاء والاستخفاف به؛ لأنهم لا يؤمنون به ولا بالقرآن.

وإنما قالوا: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، تنفيرًا للناس عنه وعما جاء به.

﴿لَوْ مَا تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

أي: هلا تأتينا بالملائكة يشهدون أنك صادق في دعواك النبوة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾.[1]

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَاّ بِالْحَقِّ﴾.

لما كان اقتراح المشركين إنزال الملائكة ليؤمنوا ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين الله تعالى أن الملائكة لا تنزل إلا بالحقِّ الذي يأمرهم الله تعالى به؛ كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَما نَتَنَزَّلُ إِلَاّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.[2]

وقال مجاهد في قوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: بالرسالة والعذاب.

﴿وَما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ﴾.

أي: وما كانوا مؤخرين؛ لأن خلقتهم لا تحتمل رؤية الملائكة، ولأنهم ينزلون بالعذاب.

---

١ – سورة الفرقان: الآية/ ٧

٢ – سورة مريم: الآية/ ٦٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (١١) كَذلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾.[1]

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما قال المشركون سخرية منهم واستهزاء للرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، ردَّ الله تعالى عليهم افتراءهم، وأخبر تعالى بأنه هو الذي أنزل القرآن على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه تعالى هو الذي يتولى حفظه من الزيادة والنقصان، والتحريف التبديل.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

المراد بالذكر القرآن، حفظه من الزيادة والنقصان، والتحريف التبديل، فلا يأتيه الباطلُ مِن بينِ يدَيْه ولا مِن خلفِه، ولم يستحفظ عليه أحدًا من خلقه، بخلاف ما تقدمه من الكتب؛ كما قال تعالى عن أصحابها: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، فحرفوا كلام الله تعالى وغيروا وبدلوا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾.

ثم الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ما وقع للرسل الذين أرسلهم الله تعالى من التكذيب والسخرية والاستهزاء تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم، و(شيع) جمع شيعة وهي الفرقة والجماعة التي اتفقت في المذهب والطريقة، و ﴿شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: الأمم السابقة.

﴿وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (١١) كَذلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾.

١ - سورة الحجر: الآية/ ٩- ١٣

ثم أخبر الله تعالى عن حال تلك الأمم مع رسلهم وإنه ما أتى أمة من رسول إلا كذبوه واستهزءوا به، حتى كأنهم يوصي بعضهم بعضًا؛ كما قال تعالى: ﴿كَذلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَاّ قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣]، ﴿كَذلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، يقال: سلكت الخيط في الإبرة، إذا أدخلته فيها؛ أي: كذلك نُدخِلُ الاستهزاءَ والتَّكذيبَ في قلوب المجرمين لاستكبارهم وعنادهم فلا يؤمنون به، وقد مضت سنّتهم بتكذيب الأنبياء.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) وَلَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاها لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ﴾.[1]

يقول الله تعالى عن هؤلاء الكفار: ولو فتحنا لهم بابًا من السماء فظلوا يصعدون حتى عاينوا عجائب الملكوت، الذي تزول معه كل شبهة، لقالوا إنما سُدَّتْ أبصارنا فلا نرى شيئًا، ثم أضربوا عن ذلك فقالوا بل نحن قوم مسحورون سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما قالوا ذلك لعنادهم للحق، واستكبارهم عن الانقياد له، ولم يستشعروا إلا الكفر، وجحدوا البراهين كما سائر المعجزات؛ وهذه الآية كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾.[2]

يُقَال: ظلّ يفعل كَذَا إِذا فعله نَهَارا، وَبَات يفعل كَذَا إِذا فعله لَيْلًا، وَقَوله: ﴿يَعْرُجُونَ﴾، أي: يصعدون، يُقَال: عرج يعرج إِذا صعد.

و ﴿سُكِّرَتْ﴾: سُدَّتْ وأُغلقتْ، والسِّكْرُ: السَّدُّ، والتشديد للمبالغة والتَّكثير والتَّكرير.

قال ابنُ عبَّاس: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾؛ أي: سُدَّتْ.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاها لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ﴾.

ثم ذكر الله تعالى شيئًا من دلائل قدرته تعالى، ومن عجائب مخلوقاته أنه تعالى جعل في السماء نجومًا وكواكب جعلها زينة للسماء ورجومًا للشياطين تحول بينهم وبين استراق السمع؛ كما قال تعالى: كما قال:

١ - سورة الحجر: الآية/ ١٤- ١٨

٢ - سورة يونس: الآية/ ٩٦، ٩٧

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ﴾.[١]

قال قتادةُ: البروجُ: الكواكبُ.

وقال مجاهدٌ: هي دراريُّ النُّجوم، يعني: عِظامَها وبيضها.

وقال الضَّحَّاك: هي كبار النُّجوم.

﴿إِلَاّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ﴾.

هذا استثناءٌ منقطعٌ من قوله: ﴿وَحَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ﴾، والمعنى: لكنْ مَن استرقَ السَّمع؛ من الشَّياطين من كلامَ الملائكةِ فيما يريدُ اللَّهُ إحداثَه في الأرض، فَإنه يُرْجَمُ بالشُّهبِ، فيلحقُها مِنها شِهابٌ واضحٌ فيُحرِقه.

١ - سورة الملك: الآية/ ٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ (٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.[١]

أي: ومن دلائل قدرة الله تعالى أنه مدَّ الأرض أي: بسطها، وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْناها﴾، لا ينافي أنه كونها كروية.

﴿وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ﴾.

أي: ألقينا فيها جبالًا ثابتات راسيات؛ لئلا تميد بأهلها؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، والتعبير بالإلقاء يوحي بارتكاز الجبال في باطن الأرض كالأوتاد؛ لذلك قال تعالى: ﴿وَالْجِبالَ أَوْتاداً﴾.[٢]

﴿وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾.

أي: وَأَنْبَتْنا فِي الأرض مِن كُلِّ شَيءٍ مقدَّرٍ بقدَرٍ معلومٍ، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها﴾ [فصلت: ١٠]، أي: جعلها فيها أقواتها بتقدير محكم، وتدبير عجيب.

﴿وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ﴾.

أي: وجعلنا لكم في الأرض من أسباب المعاش، ما تستقيم به حياتكم، ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ﴾؛ أي: وسخرنا لكم فيها من لستم له برازقين الدواب والأنعام.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ﴾.

إنْ نافية، أي: وما من شيء من الأشياء إلَّا ونحن قادرون على إيجاد أضعاف ما وجد منه.

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ١٩- ٢١

٢ - سورة النبأ: الآية/ ٧

﴿وَما نُنَزِّلُهُ إِلَاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

أي: وما نُوجده في الأرض إلا بمقدار معيَّن، اقتضته حكمة الله تعالى ومشيئته.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوارِثُونَ﴾.[١]

يخبر الله تعالى أن من دلائل قدرته تعالى، ومن نعمه تعالى على عباده أمه أرسل الرياح لواقح، تلقح السحب، لإنزال المطر، وتلقح الأشجار لإنبات الثمر، وذكرت الرياح بصيغة الجمع، لأنها التي يكون منها الخير والإنتاج، بخلاف الريح بصيغة الإفراد التي تأتي بالعذاب؛ لأنها عقيم.

قال ابن عباس: يريد للشجر وللسحاب.

وقال ابن مسعود: يبعث الله الرياح لتلقح السحاب، فتحمل الماء وتُمُجُّه في السحاب ثم تَمْريه فيدُرُّ كما تَدُرُّ اللِّقحةُ.[٢]

وروى ابن أبي حاتم عَنِ أَبِي رَجَاءٍ رضي الله عنه قَالَ: قلت للحسن رضي الله عنه وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ قَالَ: لواقح للشجر قلت: أو للسحاب؟ قَالَ: وللسحاب، تمر به حتى تمطر.[٣]

﴿فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ﴾.

أي: فأنزلنا من السماء ماءً فجعلناه سقيا لكم، والفرق بين سقى وأسقى أن السقي أن يعطيه ما يشرب، والإسقاء أن يجعل له ماءً ليشرب منه كالنهر أو البئر؛ يقال: سقيته حتى روي، وأسقيته نهرا جعلته شربا له.

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٢٢، ٢٣

٢ - رواه الشافعي في مسنده- حديث رقم: ٥٢٥، والبزار- حديث رقم: ٣٢١٢، والطبري (١٤/ ٤٣)

٣ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٢٣٥٧

قَالَ الرَّاغِبُ: الْإِسْقَاءُ أَبْلَغُ مِنَ السَّقْيِ لِأَنَّ الْإِسْقَاءَ أَنْ يُجْعَلَ لَهُ مَا يَسْقِي مِنْهُ وَيَشْرَبُ وَالسَّقْيَ أَنْ يُعْطِيَهُ مَا يَشْرَبُ.

والمعنى: فأنزلنا من السماء ماءً فجعلْنَا لكم ذلكَ الماء سَقيًا لأراضِيكُم ومواشِيكُم.

﴿وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ﴾.

أي: وليس في وُسْعِكم أنْ تَخْزُنُوا الماءَ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوارِثُونَ﴾.

ومن دلائل قدرة الله تعالى أنه هو وحده الذي يحي الخلائق بالإيجاد من العدم، وهو الذي يميتهم عند انقضاء آجالهم، وهو تعالى الباقي بعد فناء خلقه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.[١]

ومن دلائل قدرة الله تعالى علمه الذي أحاط بكل شيء، ومن ذلك علمه تعالى بالقرون الأولى من الأمم الغابرة، وعلمه تعالى بمن لم يوجد منهم.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في الآية قَالَ: الْمُسْتَقْدِمِينَ آدم عليه السلام ومن مضى من ذريته. والمستأخرين مِنْ في أصلاب الرجال.

وعَنْ مُجَاهِدٍ رضي الله عنه فِي الْآيَةِ قَالَ: المستقدمون، مَا مضى مِنَ الأمم. والمستأخرون: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

تقديم الضمير للاختصاص، وذكر الرب هنا للعناية بعبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإضافته إليه تعالى لتشريفه صلى الله عليه وسلم، وفيه تطمين لقلبه صلى الله عليه وسلم، ووعيد لمن كذبه، وذكر الحشر تعريض بما يعقبه من الحساب؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ﴾.[٢]

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

أَي: حَكِيم فِي تَدْبيره، عليم بخلقه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

ومن دلائل قدرة الله تعالى مبدأ خلق الإنسان، وقد ذكر الله تعالى أطوار خلق الإنسان وأن أولها التراب؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ثم الطين؛ كما

١ - سورة الحجر: الآية/ ٢٢- ٢٦

٢ - سورة الغاشية: الآية/ ٢٥، ٢٦

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، ثم صلصال من حمأ مسنون، كما في هذه الآية، ثم صلصال كالفخار؛ كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾.[١]

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: أن الحمأ المسنون: المنتن.

١ - سورة الرحمن: الآية/ ١٤، ١٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قالَ يا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.[١]

ومن دلائل قدرة الله تعالى أنه خلق الجان من نار السموم، أَي: من الرّيح الحارة، والسموم: ريح حارة تدخل فِي مسام الْإِنْسَان فتقتله.

الْجَانُّ جنس الشياطين، وسموا: بالجن والجنة والجان لاستتارهم عن العين، والمراد بالْجَانِّ هنا إبليس أبو الجن، وقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ لأنَّ خلقَ إبليسَ متقدمٌ على خَلقِ آدمَ، وخُلِقَ آدمُ آخر الخلق.

روى ابن أبي حاتم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: مِنْ نَارِ السَّمُومِ قَالَ: السَّمُومِ الحارة التي تقتل.

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ عليه السلام مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».[٢]

وفيه رد على من زعم أن الجن فصيل من الملائكة.

﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

يذكر الله تعالى مبدأ خلق آدم عليه السلام، وأنه تعالى حين أرد خلقه من صلصال من حمأ مسنون، أخبر الملائكة بذلك، وأمرهم بالسجود له تنويهًا بفضله، وتكريمًا له عليه السلام.

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٢٧- ٣٣

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٥١٩٤، بسند صحيح

وفي الكلام حذف اختصار تقديره: فخلقه الله تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، فسجد الملائكة جميعًا لآدم إلا إبليس امتنع عن السجود حَسَدًا لآدم واستكبارًا على أمر الله تعالى.

﴿قالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

ولما قال الله تعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، أي شيء حال بينك وبين أن تكون مع الساجدين لآدم، أظهر الكبر والحسد فقال: ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، وأظهر العداء لآدم عليه السلام ولذريته؛ فقال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا﴾.[1]

---

١ - سورة الإسراء: الآية/ ٦٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.[1]

رجيم فعيل بمعنى مفعول؛ أي: ملعون؛ قال قتادة في قوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: الرجيم الملعون.

وعن ابن جريج قوله: ﴿قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾. قال: ملعون، والرجم في القرآنِ الشَّتْمُ.

وقيل: معناه: المطرود.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ﴾.

أي: وإن عليك لعنةَ أهلِ السماوات وأهل الْأَرْضِ، فَهُوَ مَلْعُونٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

﴿قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

أي: قال رب أخرني إلى يوم البعث، قيل: أَرَادَ الخَبِيثُ أَن لَا يَموتَ.

﴿قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾.

أَيِ: من المنظرين إلى الوقتِ الَّذِي يَموتُ فِيهِ الخلائِقُ، وَهُوَ النَّفخَةُ الأُولَى، وإنما أمهله الله تعالى لهوانه عليه، وليكون ذلك الإمهال زيادة في عذابه، وليبتلي الله تعالى به العباد.

﴿قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

ثم قال زيادة في الكفر، وإمعانًا في الكبر والعناد: ﴿رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: قال رب بما أضللتني، قيل: كان الخبيث جبريًا، ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: حب الدنيا والمعاصي، ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: قال ولأضلنَّهم أجمعين عن صراطك المستقيم.

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٣٤- ٤٠

﴿إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.

أي: إلا مَن أخلَصتَه منهم لعبادتِك، وعصَمتَه مِن إضلالي.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ هَذَا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلَاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.[١]

لما قال إبليس: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. قال الله تعالى مهددًا ومتوعدًا من أطاع إبليس: هذا طريقٌ مَمُرُّ مَن سلَكُه عليَّ، ومصيرُه إليَّ، فأُجَازِي كُلَ واحدٍ منهم بما عمل.

قال الكسائي: هذا على التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه: طريقك علي، أي: لا تفلت مني، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.[٢]

﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلَاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ﴾.

يقول الله تعالى: إن عبادي ليس لك إليهم سبيل ولا لك عليهم حجةٌ توجب عليهم طاعتك، إلا مَن اتَّبعك رغبة فيما منيته من الشهوات واللذات، وإيثارًا للضلالة على الهدى؛ كما قال الشيطان لأوليائه في النار: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.[٣]

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وإن جهنم لموعد من اتبعك وسلك سبيلك من أولئك الغاوين، لا نجاة لأحدٍ منهم من عذابها.

﴿لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

ثم أخبر الله تعالى أن لجهنم سبعة أبواب، قد قُدِّرَ لكل باب منها قدرٌ من الغاوين أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه، ولا نجاة له منهم.

عَنْ قَتَادَةَ: ﴿لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾. قَالَ: «هِيَ وَاللَّهِ مَنَازِلٌ بِأَعْمَالِهِمْ».

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٣٤- ٤٤

٢ - سورة الفجر: الآية/ ١٤

٣ - سورة إبراهيم: الآية/ ٢٢

عَنْ حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: «أَتَدْرُونَ كَيْفَ أَبْوَابُ النَّارِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، نَحْوَ هَذِهِ الْأَبْوَابِ، قَالَ: «لَا وَلَكِنَّهَا هَكَذَا فَوَصْفُ أَطْبَاقًا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ».[1]

١ - رواه ابن جرير- ط. هجر (١٤/ ٧٣)، وابن أبي شيبة- حديث رقم: ٣٤١٢٧

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ (٤٧) لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ (٤٨) نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ﴾.[١]

لما ذكر الله تعالى حال أهل النار، ذكر سبحانه حال المتقين الأبرار فأخبر أنهم يتنعمون في جنات وعيون، ويقال لهم: أدخلوا تلك الجنات بسلام حال كونكم آمنين من الْمَوْت وَآمنين من الْخُرُوج منها، ومن سخط الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.[٢]

﴿وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾.

ثم أخبر الله تعالى أن من تمام نعمته تعالى عليهم أن نزع من قلوبهم الغل والحقد والعداوة والبغضاء التي كانت بينهم في الدنيا، والتعبير بالنزع يوحي بتجذر ذلك الغل في القلوب؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».[٣]

قال عليٌّ: فينا والله أهل بدرٍ نزلت الآيةُ: ﴿وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾.

﴿إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾.

تنقلب العداوة محبة، فيقبِلُ بعضُهم على بعضٍ، لا يستدبِرُ أحدٌ أحدًا رغبة عنه، بل حيثُما التفَتَ رأى وجهًا يحبُّه.

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٤٥- ٥٠

٢ - سورة الرعد: الآية/ ٢٣، ٢٤

٣ - رواه البخاري- كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، حديث رقم: ٦٥٣٥

﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ﴾.

النصب هُوَ أول مَا يصيب المرء من التَّعَب، فإذا انتفى عن أهل الجنة، كان انتفاء التعب عنهم أولى.

﴿وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ﴾.

أي: ولا يُخرجون مِنَ الجِنَانِ ونعيمِها بل هم فيها مخلَّدون.

﴿نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، لمن تاب وآمن وعمل صالحًا.

﴿وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ﴾.

لمن أشرك وأبى واستكبر، ولم يتب؛ وقدم المغفرة والرحمة لئلا يقطع رجاء العصاة المذنبين؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».[1]

١ - رواه البخاري- قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾، وقوله جل ذكره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، حديث رقم: ٧٤٠٤، ومسلم-كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، حديث رقم: ٢٧٥١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾.[1]

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينبئ العباد برحمة الله تعالى بالمؤمنين الطائعين، وبعذابه بالكفار العصاة المذنبين، ذكر الله تعالى صورًا لرحمته تعالى بمن آمن به وأطاعه، وصورًا لمن كفر به وعصاه، وذكر ذلك بقصص الأمم الغابرة وصور لنا مصارعهم؛ لتكون ماثلة في الأذهان، وشاهدة على قدرة الله تعالى، وشدة أخذه لمن عصاه وكذب رسله عليهم السلام.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم: وأَخْبِرْ عبادي عن ضَيفِ إبرَاهِيمَ وهم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى قوم لوط لإهلاكهم فدخلوا على إبراهيم عليه السلام وهو لا يعرفهم، فظن أنهم أضياف، والضَّيفُ: اسم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وهو النَّازلُ على غيرِه، طَعِمَ عندَه أو لم يطعَم، نزلَ للطُّعم أو لغيره.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾.

أي: نبئهم عن ضيف إبراهيم حين دخلوا عليه فسلموا عليه سلامًا، وفي الكلام حذف إيجاز، ودل عليه قوله تعالى في سورة هود: ﴿قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]، ﴿فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً....﴾ [الذاريات: ٢٦- ٢٨]؛ أي: فرد عليهم السلام ثم قام إلى عجل سمين فذبحه وشواه وأتاهم به فلما رأى أيديهم لا تمتد إلى طعامه أوجس في نفسه

١ - سورة الحجر: الآية/ ٥١- ٥٣

منهم خيفة، ثم قال لهم: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾؛ أي: قلقون مضطربون، والوَجَلُ: اضطراب النَّفس لتوقُّع مكروه، وسبب ذلك الاضطراب امتناعهم عن الأكل.

﴿قالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾.

أي: قالوا لإبراهيم عليه السلام لا اطمئن ولا تضطرب فإنما جئنا نبشرك بغلام عليم، والمبشِرُ لا يخاف منه.

والمراد بالغلام إسحاق عليه السلام؛ كما قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، وقولهم: عليم، إشارة إلى نبوته؛ فإن المراد بالعلم هنا العلم بالدين.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قالُوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقانِطِينَ (٥٥) قالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ (٥٦) قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ﴾.[1]

لما قالت الملائكة: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾، فقال إبراهيم عليه السلام ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾، تعجبًا مما قالوا على كبر سنه وكبر امرأته وأنها عقيم، وقوله: ﴿عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾؛ أي: على حالة الكبر والهرم، تبشروني؟ ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾؟

﴿قالُوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقانِطِينَ﴾.

قالوا بشرناك بما قضاه الله، وهو كائن لا محالة، ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ الْقانِطِينَ﴾؛ أي: لا تكن من الآيسين، والقنوط: اليأس من الخير.

﴿قالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾.

استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يقنط من رحمة ربه إلا المكذبون الذين حادوا سبيل الهدى والرشاد.

﴿قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

لما بشروه بإسحاق وعلم أنهم ملائكة قال لهم: فما شأنكم، وما الأمرُ الجليل الذي أرسلتم به؟

﴿قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ﴾.

قالوا إنا أرسلنا إلى قوم كفروا بالله تعالى وعتوا عن أمره؛ أي: قوم لوط بإهلاكهم.

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٥٤- ٦٠

﴿إِلَّآ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

إلا آل لوط، يعني: أهله المؤمنين، والاستثناء منقطع؛ لأن القوم موصفون بالإجرام، والمستثنى ليس كذلك، ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. أي: مما يعذب به القوم.

﴿إِلَّآ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ﴾.

استثناء من الضمير في ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾، فعادت إلى القوم المجرمين؛ لأنه استثناء بعد استثناء، فتعود إلى المستثنى منه أولاً، وأسند الملائكة فعل التقدير- وهو لله وحده- إلى أنفسهم فقالوا: ﴿قَدَّرْنا إِنَّها....﴾، لأن ذلك بأمر الله تعالى وهم رسله المنفذون لأمره. وقوله: ﴿إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ﴾؛ أي: الباقِين في الهلاكِ الذين لم يُسْتَثنَوا منه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قالُوا بَلْ جِئْناكَ بِما كانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْناكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) وَجاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قالَ إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ﴾.[1]

يقول الله تعالى: فلما أتت الملائكة لوطًا عليه السلام، أنكرهم ولم يعرفهم؛ لأنهم أتوه على صورة رجال مرد حِسان الوجوه فلم يعرفهم لوط عليه السلام، وأرد أن يطمئن لهم، فلما صرح لهم بذلك، فقالوا: بل نحن رسل الله جئناك بما كان يشك قومك في نزوله بهم من العذاب الذي حذرتهم إياه.

﴿وَأَتَيْناكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصادِقُونَ﴾.

أي: وجئناك بالحقِّ الذي لا مرية فيه من عند الله تعالى، وذلك الحقُّ هو العذاب الذي قدره الله على قوم لوطٍ، ﴿وَإِنَّا لَصادِقُونَ﴾؛ أي: في إخبارنا بهلاك قومك.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

وقالوا للوط عليه السلام: فأسْرِ بأهلك ببقية من الليل، وسر خلف أهلك الذين تَسْرِي بهم؛ فكنْ مِن ورائهم وأجعلهم أمامك، ولا يَلْتَفِتْ أحدٌ منكم وراءه، وامضوا حيثُ يأمُرُكم الله.

﴿وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

أي: وأوحينا إليه أن دابر هؤلاء القوم المجرمين مقطوع عند الصباح فلا تبقى منهم عين تطرف، و(أنَّ) هنا تفسيرية، فسر الأمر المشار إليه باستئصال شأفتهم، وقطع دابرهم.

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٦١- ٦٩

قال ابن عطية: والدابر الذي يأتي آخر القوم أي في أدبارهم، وإذا قطع ذلك وأتى عليه فقد أتى العذاب من أولهم إلى آخرهم، وهذه ألفاظ دالة على الاستئصال والهلاك التام، يقال قطع الله دابره واستأصل شأفته وأسكت نأمته.[1]

﴿وَجاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

أي: وجاء قوم لوط وهم أهل مدينة سدوم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ أي: يظهر السرور على بشرتهم وفي وجوههم؛ حين سمعوا أن غلمانًا حسانًا صِباحَ الوجوه نزلوا أضيافًا على لوط عليه السلام.

﴿قالَ إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ﴾.

فقال لهم هؤلاء أضيافي فلا تفضحوني بانتهاك حرمتي فيهم، واتقوا الله ولا تخزوني بين الناس فيقال: أني خذلت أضيافي وأسلمتهم لكم، وقد طلبوا الأمن عندي.

١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٦٨)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعالَمِينَ (٧٠) قالَ هؤُلاءِ بَناتِي إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[1]

لما قال لوط عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ﴾. قالوا له: أولم ننهك أن تضيف أحدًا من الناس؟

﴿قالَ هؤُلاءِ بَناتِي إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾.

قيل: المراد بناته من صلبه، قال قتادة: أراد أن يقي أضيافه ببناته.

قيل: المراد نساء قومه، لأن رسول الأمة يكون كالأب لهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾، يعني: إن كنتم تريدون اللذة وقضاء الوطر.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

هذا قسم بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، والعَمْرُ والعُمْرُ: بفتح العين وضمها، البقاء ومدة الحياة، ولا يستعمل في القسم إلا بالفتح، واللام للتوكيد، وهي جملة معترضة في الكلام، وفي هذه الآية بيان شرف رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله تعالى لم يقسم بحياة أحدٍ من البشر سواه.

أي: وحياتك يا محمد إن قومك من قريشٍ ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، لفي حيرتهم وضلالتهم يَتَرَدَّدون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾.

قيل: صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة هائلة أهلكتهم، ﴿مُشْرِقِينَ﴾، وقت شروق الشمس.

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٧٠- ٧٧

﴿فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

أي: فَجَعَلْنا عالي قراهم سافِلَها؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى﴾ [النجم: ٥٣]، فصارت منقلبة بهم. ﴿وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾؛ أي: وأتبعناهم بحجارة من طين متحجر.

﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾.

أي: إن في هلاك قوم لوط لآيات بينات وعبر وعظات للناظرين المتفرِّسين، المتثبِّتين في نظرهم الذين يعرفون حقيقة الشَّيء بسِمَته، يقال توسمت في فلان كذا؛ أي عرفت وسمه فيه.

﴿وَإِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾.

أي: وإن تلك القرى لبطريق ثابت يسلكه الناس لم يندرس، وفي الآية تنبيه لقريش فإنهم يرون تلك الديار ويعرفون تلك الآثار؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨]؛ أي: أفلم يكن لكم فيهم عبرة وعظة؟

﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: إن في ذلك القصص لعبرة لأهل الإيمان، هم الذين ينتفعون بما فيه من العظات.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كانَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ لَظالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وَإِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ (٧٩) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَآتَيْناهُمْ آياتِنا فَكانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ (٨١) وَكانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَما أَغْنى عَنْهُمْ مَا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[١]

يقول الله تعالى: وما كان أصحاب الأيكة إلا ظالمين يعني بكفرهم بالله تعالى، وتطفيفهم الكيل والميزان، وبخسهم الحقوق، والأيكة في الأصل الشجرة الملتفة واحدة الأيك، قال جرير:

وقفت بها فهاج الشوق مني ***** حمام الأيك يسعدها حمام

والمراد بها الغيضة، وهي بقعة كثيفة الأشجار، وأصحاب الأيكة هم أهل مدين وهم قوم شعيب عليه السلام، وقد قص الله تعالى علينا خبرهم في الأعراف والشعراء والعنكبوت وغيرها، وأهلكهم الله تعالى بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة.

﴿فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وَإِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ﴾.

أي: أهلكناهم بظلمهم، وأجمل الله تعالى قصتهم هنا لأن المراد بيان عقاب الله تعالى لمن كفر به وكذب رسله عليهم السلام، ﴿وَإِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ﴾؛ أي: المدينتان؛ مدينة قوم لوط، ومدينة قوم شعيب، لبطريق بين واضح يؤتم ويتبع ويهتدى به؛ لأنهم كانوا قريبًا من قوم لوط، بَعْدَهم في الزمان، ومسامتين لهم في المكان.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَآتَيْناهُمْ آياتِنا فَكانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ﴾.

ثم أخبر الله تعالى عن أصحاب الحجر وهم: ثمود أرسل الله إليهم رسوله صالحا عليه السلام، فكذبوه.

١ - سورة الحجر: الآية/ ٧٨- ٨٤

وذكر الله تعالى أنه آتاهم من الآيات ما فيه دلالة على وحدانيته وصدق رسوله إليه، ومن ذلك أنه أخرج لهم ناقة عشراء من صخرة صماء، فعقروها وعَتَوا عن أمر ربهم، وأرادوا قتلهم رسولهم صالح عليه السلام.

﴿وَكانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً آمِنِينَ﴾.

ومن نعم الله تعالى عليهم أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا حال كونهم في دعة وأمن ورغد من العيش.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾.

فأخذتهم صحية فاقت كل صوت وطغت عليه؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]، ﴿مُصْبِحِينَ﴾؛ أي: وقت الصباح من اليوم الرابع؛ فقد قال لهم نبيهم لما عقروا الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.[1]

﴿فَما أَغْنى عَنْهُمْ مَا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

أي: فما نفعهم ما كانوا يكسبون من الأموال، وما دفع عنهم العذاب ما كانوا ينحتونه من البيوت في الجبال.

١ - سورة هود: الآية/ ٦٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَاّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٦) وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.[1]

يخبر الله تعالى عن حكمته العظيمة في خلق الخلق، وأنه تعالى ما خلق الكون بما فيه من السماوات والأرض وما بينهما باطلًا، كما يظن الكفار تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ فيقول: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَاّ بِالْحَقِّ﴾، أي: الذي لا يشوبه باطل، ولغاية جليلة وليس لعبًا كما يزعم المشركون.

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.

وإن الساعة لقادمة لا ريب فيها، وفيها يجازي الله تعالى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فأعرض عنهم، وتجاوز عن إساءتهم، واترك أمرهم لله تعالى.

قال الكلبي: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾، يقول أعرض إعراضًا جميلًا بغير فحش ولا جزع.[2]

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾.

إن ربك هو الذي خلقهم وخلق الخلائق جميعًا، وهو تعالى أعلم بعباده، وعليه تعالى جزاؤهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.

يقول الله تعالى ممتنًا على رسوله صلى الله عليه وسلم: ولقد آتيناك يا محمد سبعًا من المثاني، قيل هي فاتحة الكتاب؛ لما روى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ: «كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٨٥- ٨٧

٢ - التفسير البسيط (١٢/ ٦٤٤)

أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ».[1]

وسميت بذلك لأنها سبع آيات وتثني أي: تقرأ في كل ركعة.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: هي السبع الطوال، يعنون البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.[2]

قال ابن عباس: بيَّن الأمثال والخبر والعبر.[3]

وقال سعيد: بيَّن فيهن الفرائض والحدود والقصص والأحكام.[4]

﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾؛ أي: وآتيناك القرآن العظيم، وهو من باب عطف العام على الخاص.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التفسِيرِ، سورة الْأَنْفَالِ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، حديث رقم: ٤٦٤٧

٢ - انظر تفسير الطبري- ط. هجر (١٤/ ١٠٩)

٣ - المصدر السابق (١٤/ ١١٢)

٤ - تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٦)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾.[1]

يقولُ الله تعالى لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تنظر يا محمدُ إلى ما جعَلناه متاعًا لأولئك المشركين مِن زينةِ هذه الدنيا رغبة فيها، فإن الدنيا لا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة، والنهي عن النظر أبلغ من النهي عن التمني، وقوله: ﴿أَزْواجاً مِنْهُمْ﴾؛ أَيْ: أصنافاً من الكفَّار كالمشركين واليهود وغيرهم، والزوج في اللغة الصنف.

﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾.

أي: لا تحزن عليهم بما يصيرون إليه من العذاب بكفرهم.

﴿وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الخفض: معناه في اللغة نقيض الرفع، وخفض الجناح كناية عن اللِّين، والرِّفقِ، والتَّواضع.

قال ابن عباس: ارفق بهم، ولا تغلظ عليهم.[2]

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾.

لما أمره الله تعالى بالإعراض عن زينة الحياة الدنيا، وأمره بالتواضع للمؤمنين، أمره أن يصدع بالدعوة إليه تعالى وتحذير الناس من الشرك بالله، وأن ينذرهم بأسه وعذابه إن أقاموا على الشرك بالله تعالى، و﴿الْمُبِينُ﴾: الموضِّحُ الْمُصَرِّحُ.

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٨٨- ٩١

٢ - التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٥٢)

﴿كَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾.

أي: وأذهم عقابًا كالعقاب الذي أنزلناه على المقتسمين، وهم اليهود والنصارى، وفسر: ﴿الْمُقْتَسِمِينَ﴾، بما بعده وهو ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، والمراد بالقرآن هنا الكتب التي أنزلت وقرئت عليهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، و ﴿عِضِينَ﴾ جمع عضة، والعضة: الجزء والقطعة من الشيء؛ لأنهم جعلوا كتبهم أعضاء متفرقة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ عز وجل: ﴿كَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾، مَنِ الْمُقْتَسِمِينَ؟ قَالَ: «الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى». قَالَ: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾.، مَا ﴿عِضِينَ﴾؟ قَالَ: «آمَنُوا بِبَعْضٍ، وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ».[1]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿كَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾، قَالَ: آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ؛ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.[2]

١ – رواه الطبراني في الأوسط– حديث رقم: ٦٢٠٤

٢ – رواه البخاري–كتاب التفسير، سورة الحجر، قوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، حديث رقم: ٤٧٠٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[١]

وعيدٌ وتهديد شديد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وكذبوا رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، ولأولئك الكفار من أهل الكتاب الذين كفروا بالله تعالى وعبدوا غيره وكذبوا رسوله وآمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض، حيث أقسم بنفسه ليسألنهم يوم القيامة عمَّا كانوا يَعملون من الشرك، والصدِّ عن سبيله وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

وللجمع بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، أن الجواب عن ذلك من أوجه: منها أن سؤالهم سؤال تقريع وتوبيخ، والمنفي سؤال المناقشة والاستعلام طلبًا للعذر، ومن ذلك أن سؤالهم في حال، وترك سؤالهم وعدم الإذن لهم في حال أخرى، وهذه كقوله تعالى: ﴿هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.[٢]

عن ابن عباس في قوله: ﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ثم قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾. قال: لا يسألهم هل عملتم كذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟

وعن ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ

١ - سورة الحجر: الآية/ ٩٢، ٩٣

٢ - سورة المرسلات: الآيات/ ٣٥- ٣٦

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَالَتْ فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ».[1]

١ - رواه البخاري- كتاب العلم، باب: من سمع شيئا فراجعه حتى يعرفه، حديث رقم: ١٠٣، ومسلم- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، حديث رقم: ٢٨٧٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.[١]

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بما أكرمه به من الوحي بالقرآن بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، أمره الله تعالى هنا بالمضي في تبليغ الرسالة، والجهر بالقرآن وترك الالتفات للمشركين، المستهزئين بدين الله تعالى.

﴿فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، فامض لما تؤمر من تبليغ الرسالة، وأظهر دين الله تعالى وفرق به بين الحق والباطل؛ قال الزجاج: يقول أظهر ما تؤمر به، أخذ من الصديع وهو الصبح.

ويطلق الصدع في اللغة ويراد به الجهر والإعلان، والشق والفرق؛ يقال: تصدع القوم؛ أي: تفرقوا، ويقع به الإظهار.

قال عبد الله بن مسعود: ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيًا، حتى نزلت: ﴿فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ﴾، فخرج هو وأصحابه.

وحكى أبو عُبيدةَ أن أعرابيًا سمع قارئًا يقرأ: ﴿فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ﴾، فسجد، وقال: سجدتُ لفصاحة هذا الكلام.[٢]

---

١ – سورة الحجر: الآية/ ٩٤– ٩٦

٢ - تفسير الماوردي (١/ ٣٠)

وقال أبو منصور الثعالبي: قوله عز وجل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾، ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرسالة، وشرائعها، وأحكامها، وحلالها، وحرامها.[1]

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

أي: ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ولا تعبأ بهم ولا تخفْهم؛ فإن الله متم نوره ولو كره الكافرون، وكافيك إياهم وحافظك منهم؛ كما قال تعالى في أهل الكتاب: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.[2]

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾.

الذين خلعوا وصف الألوهية على غير الله تعالى، من الأوثان التي نحتوها بأيدهم، وصرفوا لها من العبادات ما لا ينبغي إلا لله تعالى.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

تهديد شديد ووعيد أكيد بما ينتظرهم من الخلود في العذاب يوم القيامة.

---

١ - الإعجاز والإيجاز (ص: ١٦)

٢ - سورة المائدة: الآية/ ٦٧

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.[١]

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك ويعتريك من الحزن بما يقوله المشركون من الكفر والسخرية والاستهزاء بك، وبما جئتهم به، فلا يخفى علينا كلامهم، ولا يخفى علينا حزنك.

والكلام معطوف على ما سبقه من الأمر بالإعراض عن المشركين المستهزئين، والام في (لقد) هي الموطئة للقسم، و(قد) للتحقيق، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يداخله شك في علم الله تعالى المحيط بكل شيء، لكنه يبين لرسوله صلى الله عليه وسلم عنايته به، وورود الفعل (نعلم) بصيغة المضارع لإفادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من أقوال الكفار من السخرية والاستهزاء ما بقي على الأرض كفر وإيمان.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

أي: فافزع إلى ذكر الله تعالى وتنزيهه عن العجز عن الانتقام من أعدائه؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم «كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».[٢]

﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾؛ يعني من جملة المصلين، الذين يعتصمون بالله تعالى في الملمات؛ وعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى».[٣]

---

١ - سورة الحجر: الآية/ ٩٧- ٩٩

٢ - رواه مسلم- كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب دعاء الكرب، حديث رقم: ٢٧٣٠

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٣٢٩٩، وأبو داود- أبواب قيام الليل، باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل، حديث رقم: ١٣١٩، بسند حسن

والامر بالتسبيح والصلاة بعد ذكر ضيق الصدر دليل قاطع على انشراح الصدر بذكر الله تعالى والصلاة.

وخص السجود بالذكر لأنه أبلغ مظهر من مظاهر العبودية، وأقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

أي: واعبد ربك حتى يأتيك الموت، ولا تترك العبادة ما دمتَ حيًّا؛ فإنَّ الموت أجل محتوم متيقَّن لكل حي، وإسناد الإتيان إليه للإيذان بأنه متوجه إلى الحيّ طالب للوصول إليه.

عن سالم بن عبد الله بن عمر: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾. قال: الموت.

وليس الْيَقِينُ من أسماء الموت، وإنما العلم به يقين لا يمتري فيه عاقل؛ كما قال تعالى: ﴿قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ﴾.[1]

وأما ما يزعمه بعض الضلال من الزنادقة أن اليقين درجة من درجات المعرفة بالله تعالى إذا وصل إليها العبد سقطت عنه العبادات وزال التكاليف، فإنه كفر وضلال وجهل ومروق من الدين.

١ - سورة المدثر: الآية/ ٤٣- ٤٧

تفسير سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.[1]

سورة النحل وتسمى: سورة النعم، لأن الله تعالى عدد على العباد فيها نعمه.

سورة النحل مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة قال أبو جعفر حدثنا يموت، بإسناده عن ابن عباس، قال: وسورة النحل نزلت بمكة فهي مكية سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد وذلك أنه قتل حمزة بن عبد المطلب ومثل به المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَئِنْ أَظْفَرَنِيَ اللَّهُ بِهِمْ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلَاثِينَ مِنْهُمْ» فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله يا رسول الله لئن أظفرنا الله بهم لنُمَثِّلَنَّ بهم تمثيلًا لم يُمَثِّل به أحدٌ من العرب، فأنزل الله تعالى بين مكة والمدينة ثلاث آيات وهن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، وما نزل بين مكة والمدينة فهو مدني.[2]

بين يدي السورة:

افتتح الله تعالى سورة النحل بكلمات تخلع القلوب، وتدهش الألباب: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، لتناسب صلف المشركين، وعنادهم، وجرأتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعجالهم عذاب الله تعالى. ثم ذكر الله تعالى شيئًا من دلائل وحدانيته ومنها وإنزال الملائكة بالوحي على رسله عليهم السلام بكلمة التوحيد لينذروا العباد أسباب سخط الله تعالى.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١

٢ - الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٥٤١)

ثم ذكر شيئا من دلائل قدرته الباهرة ومنها خلق السماوات والأرض بالحق، وخلق الإنسان م نطفة نذرة فإذا بهذا الإنسان منازع لربه تعالى في ربوبيته، ومخاصمٌ بيّنُ الخصومة لرسله عليهم السلام، ومعادٍ ظاهر العداوة لدين الله تعالى.

ثم ذكر الله تعالى جملة من النعم التي أنعم بها على العباد ومنها تسخير الأنعام، وإنزال المطر وإنبات لنبات، وتسخير النجوم والشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار، وما خلقه الله تعالى في الأرض من عجائب الخلق، ومن جملة النعم تسخير البحر وما خلقه الله تعالى فيه من العجائب ومنها ما يأكله الناس، ومنها ما يستخرجونه من اللآلئ والدر للزينة، ومن النعم تلك الجبال التي جعلها الله تعالى رواسي لئلا تميد الأرض بمن عليها، وجعلها الله تعالى معالم يتهدى بها كما يهتدى بالنجوم في ظلمات البر والبحر، في نعم لا يحصيها إلا الذي خلقها تبارك وتعالى، ولا يقوم العباد بشكرها ومع ذلك فإن الله تعالى غفور رحيم: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

ثم أعلن الله تعالى أعظم مقصد أرسل به الرسل وأنزل به الكتب وهو توحيد الله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ﴾، ثم بين حال الذين لا يؤمنون بالآخرة، وبين أن كفرهم كفر إباء واستكبار، ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، ثم بيان حال المكذبين عند الوفاة ويوم القيامة، وحال المؤمنين، ثم بيان ما يحتج به المشركون على شركهم، وتمضي الآيات في تقرير توحيد الله تعالى، وأنه الغاية التي من أجلها أنزل الله تعالى الكتب، وأرسل الرسل، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، ثم ذكر الله تعالى صورًا من الشرك الذي كان عليه مشركوا قريش ومن حولهم، وبعض عادتهم الذميمة ومنها وأد البنات، وحال أحدهم إذا بشر بالأنثى، ثم ذكر الله تعالى شيئًا من نعم الله التي أنعم بها على العباد، ومنها إرسال الرسل، وإنزال المطر، ومن نعم الله ما يدل على قدرته تعالى الباهرة، ومنها خروج اللبن من بطون الأنعام من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين، ومنها ما أصناف الثمار والأعناب، على ما بينها تفاوت في الطعم،

١ – سورة النحل: الآية: ١٨

ومن دلائل قدرته، وعظيم نعمه ما يخرجه الله تعالى من بطون النحل من شراب مختلف ألوانه وأن الله تعالى جعله شفاء للناس.

وتمضي الآيات في تعداد نعم الله تعالى على العباد، وهم مع ذلك يعبدون غير الله الخالق، ويشكرون غيره ممن لا يملك لهم نفعًا ولا ضرًا.

وضرب الله تعالى لهم الأمثال لبيان قبح الشرك، وسفاهة عقول من يجعلون المخلوق العاجز كالإله القادر، وتمضي الآيات في بيان قدرة الله الباهرة، ونعمه الظاهرة، ومع ذلك ينكرها هؤلاء المشركون، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

ثم يذكر الله تعالى المبادئ العظمى التي لا تقوم حياة الناس بدونها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

ثم ذكر الله تعالى بعض الشبه التي كان يثيرها المشركون حول بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتولى الرد عليهم وتفنيدها: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

ثم ذكر الله تعالى إبراهيم عليه السلام إمام الموحدين، واثنى عليه، وأخبر أنه أوحي لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أن يتبع ملة إبراهيم عليه السلام، ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يقوله المشركون، فكان ذلك ردًّا للعجز على صدر السورة التي نهى الله تعالى فيه عن الاستعجال.

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

هذا خطاب للمشركين الذين كانوا يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويستعجلون عذاب الله تعالى استبعادًا له، وسخرية منهم واستهزاءً؛ كما قال تعالى: ﴿وَقالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ﴾ [ص: ١٦]، وكما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾.[1]

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: دنا وقرب، كما تقول لغيرك: أتاك الخبر، أو أتاك الغوث إذا دنى منه.

وقيل المعنى: سيأتي أمر الله، كما يقول القائل: إذا أكرمتني أكرمتك أي: أكرمك.

وذكر بصيغة الماضي لأنه سيقع لا محالة.

والمراد بأمر الله: عذاب الله كما قال تعالى: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤]؛ أي: عذابنا.

وقيل: أي: أمرنا بالعذاب، وقيل أي: عذابنا المأمور به، وقيل: هو عذاب السَّاعة.

وقال الضحاك: يعني ما كانوا يستعجلون به من الفرائض والشرائع. وهو قول عجيب منه، وبعيد غاية البعد، فما كان أحد يستعجل الفرائض لا من المؤمنين ولا من المشركين، إنما كان يستعجل المشركون عذاب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧]، ويستعجلون البعث والنشور؛ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾.[2]

وقيل: المراد: أتى أمر الله وعدًا فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ يعني وقوعًا.

والاستعجال: طلب الشيء قبل حينه، ومعناه: لا تطلبوه قبل وقته.

---

١ - سورة الأنفال: الآية/ ٣٢

٢ - سورة الشورى: الآية/ ١٨

﴿سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

نزَّهَ الله تعالى نفسه عما يزعمه المشركون من الأوثان والأنداد أنهم له شركاء.

وقرأ حمزة والكسائي وخلفٌ: تشركون بتاء الخطاب: ﴿تُشْرِكُونَ﴾، وقرأ الباقون بالياء: ﴿يُشْرِكُونَ﴾، فيكون التفاتًا من الخطاب للغيبة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَاّ أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾.[1]

يخبر الله تعالى عن بعض صفاته، وعن شيء من دلائل وحدانيته وقدرته وأنه تعالى ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾، وهو من العام الذي يراد به الخصوص، قال ابن عباس: يريد جبريل وحده.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ [آل عمران: ٤٢]، المراد جبريل وحده.

وقوله: ﴿بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: ٢] بالوحي، وهو كلام الله، سمي روحا لأنه حياة القلوب من موت الكفر.

﴿عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَاّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾.

يعني: الأنبياء والرسل عليهم السلام، ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَاّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾، أن تفسيرية؛ أي: قائلا لهم أنذروا العباد؛ أي: أعلموهم أنه لا إله يستحق العبادة إلا أنا، فاتقوا أسباب سخطي بتوحيدي.

﴿خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾.

لما دعا الله تعالى العباد إلى توحيده أخبر أن من دلائل قدرته أنه خلق السماوات والأرض بالحق، وليس كما يزعم المشركون أنه خلق السماوات والأرض باطل، وأنه باطل لا حكمة فيه؛ كما قال تعالى: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.[2]

﴿تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

تنزه وتقدس وجلَّ عما يزعمه المشركون من الأنداد والأضداد، وما ينسبونه له من الصاحبة والولد.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٢- ٤

٢ - سورة ص: الآية/ ٢٧

﴿خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾.

خلق الإنسان من نطفة مهينة نذرة، فإذا به ينسى أصل خلقته، ويغفل عن طلاقة قدرة ربه، ويكذب ربه ويخاصمه أشد المخاصمة في توحيده، وإنكاره للبعث والنشور، ويحارب رسله؛ قائلًا: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.[1]

عَنْ بُسْرِ بْنِ جِحَاشٍ الْقُرَشِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَزَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا إِصْبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: "قَالَ اللهُ: ابْنَ آدَمَ، أَنَّى تُعْجِزُنِي، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ".[2]

١ - سورة يس: الآية/ ٧٨

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٧٨٤٢، وابن ماجه- كتاب الوصايا، باب النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت، حديث رقم: ٢٧٠٧، بسند حسن

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.[1]

ومن دلائل قدرته تعالى أنه خلق لكم فيما خلق الأنعام، يعني: الإبل والبقر والغنم وسخرها لبني آدم، وأباح لهم منافعها، ومنها الاستدفاء بصوفها ووبرها وشعرها من برد الشتاء، وجعل لهم فيها منافع ينتفعون بها من النسل والدر والركوب والحمل؛ كما قال تعالى: وقال: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام: ١٤٢]، وأباح لهم لحومها يأكلون منها.

﴿وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾.

أي: زينة، والجمال ما يتزين به منها، ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾، يعني: حين تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشي، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾؛ أي: حين ترسلونها بالغداة إلى مسارحها.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾.

ومن نعمه التي امتن بها عليكم أنها تحمل أحمالكم الثقيلة حين تسافرون إلى البلدان البعيدة، التي لا تصلون إليها إلا بمشقة تصيب أبدانكم.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾.

من رحمته ورأفته بكم أنه سخرها لكم وأباح لكم منافعها.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً﴾.

أي: وخلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها، وجعلها زينة لكم مع ما تنتفعون به منها.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٥- ٨

واستدل الأحناف ومن وافقهم بهذه الآية على تحريم لحم الخيل؛ قالوا: لأنه ذكرت في معرض الامتنان، ولو كان الاكل مباحًا لذكره الله تعالى، وأيضًا لدلالة الاقتران بالبغال والحمير.

ولا دليل لهم في الآية على التحريم إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبًا ألا يقصد منه غيره أصلاً، فإن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على أن الحمر الأهلية حرمت عام خيبر، وروى البخاري ومسلم عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: «نَحَرْنَا فَرَسًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَكَلْنَاهُ».[1]

ودلالة الاقتران ضعيفة عند الأصوليين.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

ومن دلائل قدرته تعالى أنه يخلق مالا تعلمون، مما لا يخطر لكم على بال، ولا يدور في الخيال.

١ - رواه البخاري-كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد، باب لحوم الخيل، حديث رقم: ٥٥١٩، ومسلم- كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: في أكل لحوم الخيل، حديث رقم: ١٩٤٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْها جائِرٌ وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.[1]

القصد: الاستقامة: وقصد السبيل: استقامة الطريق، يقال: طريق قصد، وطريق قاصد إذا أداك إلى مطلوبك، ومنه ما رواه أحمد عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، فَإِنَّهُ مَنْ يُغَالِبْ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ». أي: طريقًا معتدلًا

يقول الله تعالى: وعلى الله بيان الطريقِ المستقيمُ الذي لا اعوجاجَ فيه، والمحجة الواضحة؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى﴾.[2]

﴿وَمِنْها جائِرٌ﴾.

أي: ومن الطُّرقِ طريقٌ مائلٌ عن السَّداد، وقد بيَّناه كما بيَّنا الطَّريق المستقيم؛ وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، أي: عرَّفناهُ سبيلَ الخيرِ، وسبيلَ الشَّرِّ.

﴿وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

الهداية نوعان: هداية الإرشاد والدلالة للناس جميعًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]، أي: بينا لهم الحق وأرشدناهم إليه، فاستحبوا العمى وآثروا الضلالة على الهدى، وهداية التوفيق، والمراد هداية بالتوفيق؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾.[3]

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، قَالَ: «ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورٌ فِيهِ أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَدْعُو: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا إِلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَوَّجُوا، وَالدَّاعِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا فُتِحَ بَابٌ مِنْ تِلْكَ

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٩

٢ - سورة الليل: الآية/ ١٢

٣ - سورة السجدة: الآية/ ١٣

الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ: الْإِسْلَامُ، وَالسُّتُورُ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللَّهِ عز وجل».[1]

وفي الآية رد على القدرية.

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٧٦٣٤، وابن أبي عاصم في كتاب السنة- باب، حديث رقم: ١٩، بسند صحيح

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.[١]

ومن دلائل قدرة الله تعالى، ومن نعمه التي أنعم بها على العباد أنه هو الذي أنزل من السماء مطرًا لا حياة لهم بدونه، يشربون منه، ويسقون منه دوابهم وأشجارهم، ويقال لكل ما نبت على الأرض شجر، ويرعون ماشيتهم مما ينبت من ذلك الماء من النبات والأشجار، والسائمة هي التي ترعى، فتحققت بالماء حياتهم وحياة دوابهم، وحياة زروعهم.

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾.

أي: ينبت الله لكم بالمطر أصناف الزرع كلها من البقول الحبوب والفواكه والنخيل، وقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾، من عطف العام على الخاص.

﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

يتفكرون في دلائل قدرة الله تعالى.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ﴾.

ومن نعم الله تعالى التي امتن بها على بني آدم، ومن دلائل قدرته تعالى: أنه تعالى سخر للعباد ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، تسير وفق نظام دقيق محكم، لا يخرج شيء منها عن مسار الذي جعله الله تعالى له، ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.[٢]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١٠- ١٣

٢ - سورة يس: الآية/ ٤٠

﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾.

والنجوم كذلك مسخرات بأمر الله تعالى لها لهداية العباد في ظلمات البر والبحر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

إن في ذلك التقدير المحكم، لدلائل قاطعات لأصحاب العقول السليمة على قدرة الله الباهرة، وحكمته البالغة، وذكر أصحاب العقول لأنهم تعلموا منها مقادير الأيام والشهور وعدد السنين والحساب.

﴿وَما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ﴾.

لما نبه الله تعالى على دلائل قدرته في الآيات السماوية، نبه هنا على دلائل قدرته فيما خلقه من العجائب في الأرض، فقال: ﴿وَما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ﴾؛ أي: وما خلق لكم في الأرض، من الدواب والأنعام والأشجار والثمار والمعادن ﴿مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ﴾، في الخلقة والهيئة والكيفية وكل شيء.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

دليل قاطع على قدرة الله تعالى وبديع صنعه حتى لا ترى بين اثنين من المخلوقات تطابق من كل وجه أبدًا، وهو من أقوى دواعي الاعتبار.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.[1]

ومن دلائل قدرة الله تعالى، ومن نعمه التي أنعم بها على العباد أنه هو الذي ذلل البحر على اتساعه وبعد قعره، وتلاطم أمواجه، وفي تذليله آية من أعظم الآيات الكونية؛ كما قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢]، ثم ذكر الله تعالى في هذه الآية أمورًا أربعة امتن على العباد بها.

﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا﴾.

هو السمك، ووصفه بالطراوة، لتهيئته للأكل بمجرد صيده؛ لإسراع الفساد إليه.

﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾.

هي اللآلئ والمرجان والجواهر النفسية، التي يتزينون بها.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ﴾.

ومن تلك النعم تهيئة البحر لحمل الفلك والسفن العظيمة، التي تحمل الناس وتجارتهم، وتمخر عبابه، وتشق مياهه وأمواجه، و ﴿مَواخِرَ﴾، من المخرِ وهو شق الماء.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

أي: لتبتغوا من فضل الله تعالى بركوب الفلك في الأسفار للتِّجارة، ولتشكروا الله تعالى على تلك النعم.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١٤، ١٥

وفي الآيةِ دليلٌ على جواز ركوب البحر للتِّجارة، على ما فيه من الأخطار.

﴿وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

ومن النعم التي امتن بها تعالى على العباد أنه ألقى في الأرض الجبال، وجعلها أوتادًا لتثبيت الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْجِبالَ أَوْتاداً﴾ [النبأ: ٧]، وأن هنا نافية؛ أي: لئلا تضطرب بكم وبما عليها، والتعبير بالإلقاء هنا وبالأوتاد في سورة النبأ من دلائل الإعجاز العلمي فإن الوتد لا يؤدي الغرض منه إلا بكون معظمه في باطن الأرض، وقد دل العلم الحديث على أن الجزء الذي في باطن الأرض من الجبل أكبر بكثير من الجزء الظاهر منه.

﴿وَأَنْهاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

أي: وجعل في الأرض أنهارًا وطرقًا لتنتفعوا بها في معايشكم، ولتهتدوا بها في أسفاركم، وتقدير الفعل المضمر بـ (جعل) كما يقال: تقلَّد سيفًا ورمحًا؛ أي: واعتقل رمحًا، وعلفتها تبًا وماءً باردًا؛ أي: وسقيتها ماءً باردًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[١]

ومن دلائل قدرة الله تعالى، ومن نعمه التي أنعم بها على العباد أنه جعل الجبال والأنهار والسبل علاماتٍ يستدل بها العباد بالنهار، ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، أي: وكما يهتدون في سير بتلك العلامات الظاهرة، فإنهم يهتدون بالنجوم ليلًا، وتقدير الكلام: ويهتدون بالجبال والأنهار والسبل كما يهتدون بالنجوم، وكلها من خلق الله، ومسخرة بأمره تعالى؛ قَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.[٢]

والمراد بالنجم الجنس يشمل كل النجوم، وقوله تعالى: ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، فيه التفات من الخطاب للغيبة.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾.

سؤال الغرض منه الإنكار، فإن الأصنام لم تخلق شيئًا، فكيف يستوي المخلوق العاجز الضعيف بالخالق القوي القاهر الحكيم.

﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

أفلا تعتبرون وتتعظون فإن الأمر ظاهر غاية الظهور، لا يحتاج إلى إعمال فكر، بل يدركه كل أحد بأدنى تذكر واعتبار.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١٤- ١٨

٢ - رواه البخاري-كتاب بدء الخلق، باب في النجوم (٤/ ١٠٥)

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها﴾.

لما ذكر الله تعالى تلك النعم السالفة بين تعالى هنا أنها ليست كل النعم، بل إن نعم الله تعالى على العباد لا يحصيها العد ولا يأتي عليها الحصر، ونعمة اسم جنس يدخل تحتها كل ما أنعم به الله تعالى على العباد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ولأن إحصائها فوق طاقة البشر، وشكرها لا يتأتى منهم فقد عاملهم الله تعالى بلطفه وإحسانه، فغفر لهم تقصيرهم في شكرها، ورحم عجزهم عن القيام بحقها، واللام هي الموطئة للقسم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.[1]

يخبر الله تعالى أن من دلائل قدرته تعالى أنه يعلم السر والعلانية، فيقول لعباده: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ﴾؛ أي: ما تضمرونه في أنفسكم وما تخفونه في ضمائركم، فلا تبدونه لأحد، ويعلم ما تعلنون، فالسر عنده تعالى علانية، ومن لوازم العلم المحاسبة، فهو تهديد ووعيد للمسيئين، وبشرى للمحسنين.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

أي: وأوثانُهم الذين يَدْعونهم مِن دونِ اللهِ، ويعتقدون ألوهيتهم لا يَخلُقُونَ شيئًا وهم يُخلَقُونَ فكيف تكُونُ آلهة وهي مصنوعة بأيدي من يعبدونها؟ ولا تَملِك لأنفسِها نفعًا ولا ضَرًّا؟

وفي الكلام التفات من الخطاب للغيبة.

﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ﴾.

يقولُ الله تعالى لهؤلاء المشركين الوثنيين مِن قريشٍ وغيرهم: والذين تَدْعُون مِن دونِ اللهِ، ﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ﴾، في أصنام لا أرواح فيها، وجمادات لا حياة فيها.

﴿وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

ولا تدري تلك الأصنام التي تعبدونها أيها الوثنيون شيئًا عن البعث والجزاء والحساب.

﴿إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ﴾.

أي: إلهكم المستحق للعباد، والتعظيم والخشوع والخضوع إلهٌ واحدٌ.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١٩- ٢٢

﴿فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

أي: فمن استنكف عن عبادته وحده، ومن لم يرجُ ثوابه يوم القيامة ولم يخش عقابه، فليسوا بمؤمنين، لإنكار قلبهم التوحيد، وهم مستكبرون عن عبادة خالقهم ورازقهم، الإله الحق سبحانه وتعالى.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣) وَإِذا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَمِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ مَا يَزِرُونَ﴾.[1]

﴿لَا جَرَمَ﴾: قال الخليل: هي كلمةُ تحقيقٍ، ولا تكون إلَّا جوابًا، يقال: فعلوا كذا، فيقال: لا جرمَ أنَّهم سيندمون، فالمعنى على هذا: حقًّا إنَّ لهم النَّار.[2]

وقال الفَرّاء: كَانَت فِي الأصْل بِمَنزِلَة لَا بُدّ، وَلَا محَالة، فكَثُر استِعمالها حَتَّى صَارَت بِمَنزِلَة حَقّاً.[3]

﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

يقول الله تعالى: حقًّا أن الله يَعْلَمُ ما يسرُّ هؤلاء المشركون، من إنكارِهم وحدانية الله تعالى، واستكبارِهم على توحيد الله تعالى، وما يُعْلِنون من كفرِهم باللهِ وافترائهم عليه.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

إن الله تعالى لا يُحِبُّ المتعالين على الله وعلى عباده، المتعظِّمين في أنفسهم عن توحيد الله تعالى والانقياد للرُّسل، المستنكفين أنْ يُوَحِّدوه.

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

وإذا قيل لهؤلاء المتكبرين: أي شيءٍ أَنزَل ربُّكم؟ قالوا: إنما هو ما سطَّره السابقون مِن قَبْلِنا من الأباطيلِ.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٢٣- ٢٥

٢ - التيسير في التفسير (٩/ ٢٥٧)

٣ - تهذيب اللغة (١١/ ٤٦)

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

واللام هنا لام العاقبة؛ أي: لتكون عاقبة أمرهم حمل أوزارهم كاملة يوم القيامة والأوزار هي الذنوب والآثام التي اقترفوها بالصد عن سبيل الله تعالى.

﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

أي: وليحملوا آثام الذين اتَّبعوهم وضلُّوا بإضلالهم، و (مِن) هنا للتَّبعيض، لأن لهم ذنوبًا اقترفوها غير تلك التي حدثت باتباعهم لمن أضلوهم.

﴿أَلا ساءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

أي: بئسَ ما يحملونه يوم القيامة من الأوزار.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾.[1]

قال الزَّجَّاجُ: المكرُ: هو السَّعي بالإفساد في حقِّ الغير على خفاءٍ، يقولُ الله تعالى: قد سعى السابقون من الكفار سعيًا حثيثًا ليصدوا الناس عن سبيل الله تعالى، ويحولوا بينهم وبين الإيمان بالله تعالى، كما يفعل هؤلاء المشركون الذين يَصُدُّون عن سبيلِ اللهِ تعالى، فأبطل الله تعالى مكر السابقين، وجعل وبال مكرهم عليهم، فكانت عاقبة أمرهم خسرًا.

﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

كناية عن إبطال مكرهم، ونقض حجتهم، وعاقبهم الله تعالى بنقيض قصدهم، فجعل تدميرهم في تدبيرهم؛ كما قال الله تعال: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [سبأ: ٣٣]، وقال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢]؛ كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حال أصحاب الأخدود الذين سعوا بكل سبيل إلى صدِّ الناس عن دين الله تعالى، أن أعوان الملك قالوا له حين قتل الغلام: "أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ".[2]

ومعنى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ﴾؛ أي: قصد الله بنيانهم من أصله.

وقيل: المراد به نمرود بن كنعان حين بني صرحًا ببابل ليقاتل أهل السماء فأرسل الله عليه ريحًا فخر عليه وعلى قومه فهلكوا.

وقال قَتَادَة: أتاها أمر الله مِنَ أصلها فَخَرَّ عَلَيْهِمْ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ، السَّقْفُ عالي البيوت فائتفكت بهم بيوتهم، فأهلكهم الله ودمرهم.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٢٦

٢ - رواه مسلم- كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم: ٣٠٠٥

وقوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ لبيان أنهم كانوا تحت السقف حين خر عليهم فأهلكهم. فإن السقف لا يخر إلا من فوق.

﴿وَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾.

أي: أتاهم عذاب الله تعالى من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكافِرِينَ﴾.[1]

لما أخبر الله تعالى أنه أبطل مكر المشركين، ونقض حجتهم، وأتى بنيانهم من القواعد، فخر عليهم السيف من فوقهم، أخبر الله تعالى أن ذلك كان في الدنيا، ثم يوم القيامة يكون الحساب والجزاء؛ ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾، والخزي: الإهانة؛ أي: يهينهم ويذلهم الله تعالى، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾.

أضاف الله تعالى الأوثان إليه سبحانه توبيخًا واستهزاءً للمشركين الذين زعموا ذلك.

والمشاقة: الخلاف المفضي إلى العداوة، حتى يصير كل خصم في شق غير شق الآخر.

ويقول الله تعالى لهم تقريعًا وتوبيخًا: ﴿أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾؛ أي: أين شركائي الذين كنتم تعادونني من أجلهم، وتخاصمون الأنبياءَ والمؤمنين في شأنهم.

﴿قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.

أي: الأنبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم إلى التَّوحيد فيخاصمونهم في آلهتهم المزعومة ويتكبَّرون عليهم ويصدون الناس عنهم.

﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكافِرِينَ﴾.

إن الإهانة والذل والعذاب في هذا اليوم؛ أي: يوم القيامة، على الكافرين، قالوا لهم ذلك إظهارًا للشماتة بهم، وزيادة للإهانة لهم.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٢٧

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.[١]

يخبر الله تعالى عن حال المشركين عند احتضارهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم.

﴿ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي: الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله تعالى وعبادتهم غيره.

﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾.

أي: أعلنوا الاستسلام لأمر الله تعالى، وأذعنوا للملائكة وأظهروا الخضوع والطاعة.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾.

أي قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾، أي: ما كنا نشرك بالله وما كنا نعبد غيره تعالى، ظنوا أن الكذب يروج على الملائكة كما كان يروج على الناس، ويظلون كذلك إلى يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاّ أَنْ قالُوا وَاللَّهِ رَبِّنا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.[٢]

﴿بَلى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قال الملائكة: بلى ما تعملون إلا السوء، ولا يخفى على الله تعالى حالكم، ولا يغني عنكم كذبكم وإنكاركم.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٢٨، ٢٩

٢ - سورة الأنعام: الآية/ ٢٢، ٢٣

﴿فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها﴾.

أي: فتقول لهم الملائكة: فادخلوا أبواب جهنم؛ لأنها تفضي بهم إلى دركاتها، جزاء وفاقًا حال كونهم خالدين فيها.

وقيل: هو بشارة لهم بعذاب القبر، إذ هو باب من أبواب جهنم للكافرين.

﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

فلبس مقام المتكبرين الذي تكبروا عن عبادة الله تعالى، وعن طاعة رسله عليهم السلام.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَلَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ كَذلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.[1]

لما أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا إذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم من الوحي؟ قالوا: لم ينزل شيئًا إنما هي أساطير الأولين؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]، تنفيرًا للناس عن دين الله وصدًّا لهم عن سبيله، فلما أخبر عن حال هؤلاء المشركين المكذبين، أخبر الله تعالى هنا عن حال المؤمنين المغاير لحال أولئك المشركين، أنهما لما قيل لهم: ماذا أنزل ربكم من الوحي؟ ﴿قالُوا خَيْراً﴾؛ أي: قالوا: أنزل خيرًا؛ لأنَّ القرآن كله خيرٌ وهدًى ورحمةٌ وشفاءٌ لِمَا في الصُّدور.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ﴾.

أي: للذين أحسنوا بإيمانهم بالله تعالى وعملوا الصالحات أحسن الله تعالى إليهم بالحياة الطيبة في الدنيا؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ودخول الجنة يوم القيامة؛ كما قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ﴾.[2]

﴿وَلَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

ولثوابهم في الآخرة خيرٌ وأتم مما لهم من الجزاء في الدنيا، ﴿وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ﴾، اللَّام لام القسم، والتقدير: أقسم لنعم الدار دار المتقين؛ لما فيها من النعيم والمقيم، والملك الدائم الذي لا ينقطع.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٣٠، ٣١

٢ - سورة يونس: الآية/ ٢٦

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ﴾.

أي: وتلك الدار هي جنات عدن ومن صفتها أنها تجري من تحتها الأنهار، ولهم فيها ما يشاؤون من النعيم؛ كما قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[1]

﴿كَذلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

أي: كهذا الجزاء يجزي الله المتقين من عباده.

١ - سورة الزخرف: الآية/ ٧١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَاّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ مَا عَمِلُوا وَحاقَ بِهِمْ مَا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾.[١]

لما ذكر الله تعالى حال المشركين عندما تتوفاهم الملائكة، ناسب أن يذكر حال المؤمنين عندما تتوفاهم الملائكة؛ فقال: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾؛ أي: تتوفاهم الملائكة حال كونهم طاهرين من أدران الشرك، ومن دنس الذنوب والآثام.

قال الكلبي: طيبين من الشرك.

وقال مجاهد: زاكية أفعالهم وأقوالهم.[٢]

﴿يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

تسلم عليهم الملائكة، ويبلغونهم سلامَ الله تعالى عليهم، قائلين لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، والباء هنا باء السببية وليست باء المقابلة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَاّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾.

أي: ما ينتظر هؤلاء المشركون؟ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَاّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾، لقبض أرواحِهم، وهم متلبسون بشركهم، سادرون في غيهم؟ ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، أم هل ينتظرون إلا أن يأتيهم امر الله تعالى بعذاب يستأصلهم، فينزلُ بهم ما نزل بمَنْ قبلَهم مِن الهلاك؟

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٣٢- ٣٤

٢ - التفسير البسيط (١٣/ ٥٣)

﴿كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

كما فعل هؤلاء المشركون من التمادي في الكفر، واستعجال العذاب فعل الذين من قبلهم من الأمم الغابرة، فنزل بهم بأس الله الذي لا يرد، وحلت بهم نقمته التي لا تدفع، جزاءً وفاقًا، وما ظلمهم الله تعالى لإقامة الحجة عليهم بإنزال الكتب، وإرسال الرسل؛ بل كانوا هم الظالمين لأنفسهم بإقامتهم على الكفر.

﴿فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ مَا عَمِلُوا﴾.

أي: فأصابهم ما يسيئهم جزاء ما عملوا من أعمال سيئة، والجزاء من جنس العمل.

﴿وَحاقَ بِهِمْ مَا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾.

أي: نزل بهم وأحاط بهم العذابُ الذي كانوا يستهزؤن به ويجحدونه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.[1]

يخبر الله تعالى عن ضلال المشركين واغترارهم بما كانوا عليه من الشرك، وما ابتدعوه من التحريم والتحليل فزعموا لجهلهم أن الله تعالى رضي عن عبادتهم للأوثان، وأنه تعالى أقرهم على تحريمهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، واحتجوا على ما هم فيه من الكفر والضلال بإرادة الله تعالى ذلك، ولو لم يرد الله تعالى ذلك لما كان له وجود، فليس في الكون إلا ما يريده الله تعالى، ولم يعلم هؤلاء الضلال أن الإرادة تنقسم إلى إرادة كونية قدرية، وإرادة شرعية، وأن الكفر والضلال وقع بالإرادة الكونية القدرية، وأن الله تعالى لا يحب الكفر ولا يرضاه ولا يأمر به وإن كان خلقًا من خلقه؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللَّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.[2]

﴿كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

أي: كذلك الفهم السقم والمنطق الخاطئ والتكذيب الصريح فعل الذين من قبلهم من المشركين، افتراءً على الله تعالى وتكذيبًا لرسله عليهم السلام.

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.

هذا الذي يسميه علماء البيان الاستفهام الإنكاري، والمراد منه النفي، والمعنى: ليس على الرسل هداية من ضل عن السبيل، ليس عليهم إلا البلاغ المبين.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٣٥

٢ - سورة الأعراف: الآية/ ٢٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه الآية كقول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَاّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَاّ تَخْرُصُونَ﴾.[1]

١ - سورة الأنعام: الآية/ ١٤٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِنْ تَحْرِصْ عَلى هُداهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾.[١]

اللام هنا هي الموطئة للقسم وتقدر الكلام أقسم لقد بعثنا في كل أمة رسولًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَاّ خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾.[٢]

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

أن هنا تفسيرية؛ أي: بعثنا في كل أمة رسولًا يقول لهم: اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، وتقدم تفسير الطاغوت وهو الشيطان، وكل ما عُبد من دون الله ورضي بذلك.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾.

أي: فانقسم الناس ببعثة الرسل إلى فريقين، فريق منهم أقبل على الله تعالى بتوحيده فوفقهم الله تعالى للإيمان به، وإفراده تعالى بالعبادة، وفريق أعرض عن الله تعالى وأبى إلا الكفر فقضى الله تعالى عليهم بالضلال، فحقت عليهم الضلالة.

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

أي: فسيروا معتبرين في الأرض، فتفكروا كيف كانت مصارع الغابرين، الذين كذبوا الرسل وآثروا الكفر على الإيمان، وإلى أي شيء آل أمرهم.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٣٦، ٣٧

٢ - سورة فاطر: الآية/ ٢٤

﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلى هُداهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾.

يقولُ الله تعالى لنبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: إن تحرصْ يا محمدُ على هُدَى هؤلاء المشركين الذين أرسلت إليهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾، قرأ عاصم وحمزة والكسائيُّ وخلف: ﴿لا يَهْدِي﴾، بفتح الياء؛ أي: فإنَّ الله لا يهدي مَن أضلَّه، لعلمه اختيار الضَّلالة منه، ويحتمل أن يكون يهدي بمعنى يهتدي.

وقرأ الباقون: ﴿لا يُهْدَي﴾، بضمِّ الياء على ما لم يُسمَّ فاعلُه، والمعنى: فإن مَن أضلَّه اللهُ منهم فلا هاديَ له؛ كَمَا قَالَ: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ﴾.[1]

﴿وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾.

أي: وما لهم من مانعين يحولون بينهم وبين عذاب الله تعالى.

١ - سورة الأعرافِ: الآية/ ١٨٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كانُوا كاذِبِينَ (٣٩) إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[١]

يخبر الله تعالى عن مشركي قريش واعتقادهم في البعث والنشور، أنهم كانوا دهريين لا يؤمنون بالبعث بعد الموت، ولا يؤمنون بالحساب ولا الجزاء، وأنهم حلفوا على اعتقادهم هذا فاجتهدوا في أيمانهم استبعادًا للبعث، ووصفًا لله تعالى بالعجز، وتكذيبًا للرسل عليهم السلام؛ كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقالُوا إِنْ هِيَ إِلَاّ حَياتُنَا الدُّنْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.[٢]

﴿بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا﴾.

ردٌّ عليهم، وإثبات لما بعد النفي أي: بل يبعثهم الله تعالى، فقد وعد وعدًا ووعده تعالى لا يتخلف؛ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلَاّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾.[٣]

﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

تذييل لبيان علة تكذيبهم بالبعث؛ فهم لجهلهم كذبوا بما لم يحيطوا به علمًا، وخالفوا الرسل فيما أعلمهم الله تعالى به.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

أي: يبعثهم الله تعالى ليبين لهم الذي كانوا يختلفون فيه من الحق والباطل، ويجازيهم بأعمالهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَما كُنَّا غائِبِينَ﴾.[٤]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٣٨- ٤٠

٢ - سورة الأنعام: الآية/ ٢٩

٣ - سورة النساء: الآية/ ٨٧

٤ - سورة الأعراف: الآية/ ٧

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كانُوا كاذِبِينَ﴾.

وليعلموا أنهم كانوا كاذبين بإنكار البعث والنشور، والجزاء الحساب والجنة والنار.

﴿إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

بيان لقدرة الله تعالى الباهر على الخلق والإيجاد من العدم، وهو في حكم العقل أعظم من إعادة الأموات إلى الحياة، فإذا الله تعالى قادرًا على الإيجاد من العدم، فهو أقدر على إحياء الموتى، وإنما يخلق الله تعالى الخلق بقوله للشيء الذي يريد خلقه كن فيكون كما أراد الله تعالى.

قال ابن الأنباري: أوقع لفظ الشيء على المعلوم عند الله تعالى قبل الخلق لأنه بمنزلة ما قد وجد وشوهد.[1]

١ - فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٩٥)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.[١]

لما أخبر الله تعالى في الآيات السابقة أن الناس انقسموا ببعثة الرسل إلى فريقين: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾، ثم ذكر الله تعالى الذين كفروا بالله تعالى وكذبوا الرسل، ذكر تعالى هنا الذين آمنوا بالله تعالى وتركوا أوطانهم وأهليهم، فرارًا بدينهم من المشركين الذين آذوهم في الله تعالى.

والهجرة ترك الأوطان فرارًا من الأذى، أو طلبًا للرزق.

قيل نزلت هذه الآية فِي عمار، وبلال، وصهيب بن سِنَان، وخباب بن الْأَرَت، وَسَالم مولى أبي حُذَيْفَة، فهاجروا إِلى أرض الحبشةِ.

وقال قتادة: هؤلاء أصحابُ محمدٍ، ظلَمهم أهلُ مكةَ، فأخْرَجوهم مِن ديارِهم، حتى لَحِق طوائفُ منهم بالحَبَشَةِ، ثم بَوَّأَهمُ اللَّهُ المدينةَ بعدَ ذلك، فجَعَلها لهم دارَ هجرةٍ، وجعَل لهم أنصارًا من المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿هاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾؛ أي: في سبيل مرضاة الله تعالى، وابتغاء وجهه.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً﴾.

التبوء هو الحلول بالمكان والنزول به؛ ومنه قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾، واللام هنا هي الموطئة للقسم؛ أي: أقسم لنسكننهم مسكنًا حسنًا، فأسكنهم الله تعالى المدينة.

وقال مجاهد: لنرزقنهم في الدنيا رزقًا حسنًا.[٢]

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

١ - سورة النحل: الآية/ ٤١- ٤٢

٢ - تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٦)

ولأجر الآخر أكبر من الذي عجل لهم في الحياة الدنيا، لو كان هؤلاء الظَّالمون يعلمون ما أعدَّه اللَّهُ للمهاجرين في سبيله.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

نعت المهاجرين؛ أي: الذين صبروا على دينهم، وعلى أذى الظالمين، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، في دفع الأذى عنهم، وتحقيق موعود الله تعالى لهم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[1]

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة انقسام الناس ببعثة الرسل إلى مؤمنين طائعين، وإلى كفار مكذبين بين الله تعالى هنا سببًا من أسباب تكذيبهم لرسول الله صل الله عليه وسلم والرد على تلك الشبهة التي صرفتهم عن الإيمان، وهي إعظامهم أن يرسل الله تعالى رسول من البشر.

﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾.

سبب نزول الآية:

قال الواحدي: نزلت في مشركي مكة، أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، فهلا بعث إلينا ملكا؟[2]

يقولُ الله تعالى لرسولِهِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ﴾، يا محمدُ إلى أُمَّةٍ من الأممِ، ﴿إِلَّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾، يعني: مِن بَنِى آدمَ ولم نرسل ملكًا من الملائكةً، كما يقترح قومك.

وفي الآية دليل على أن النبوة والرسالة قاصرة على الرجال بإجماع العلماء.

﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

يقول الله تعالى إن كنتم لا تعلمون سنن الله تعالى في إرسال الرسل فاسألوا أهل الكتاب الذين بعثت فيهم الرسل.

---

١ – سورة النحل: الآية/ ٤٣، ٤٤

٢ – أسباب النزول ت: الحميدان (ص: ٢٧٩)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الأعمش ومجاهد وابن عباس: المراد بأهل الذكر: أهل الكتاب.[1]

وعن معمر في قوله: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾، قال: أهل التوراة، فسلوهم، هل جاءهم إلا رجال يوحى إليهم؟[2]

وقال بعضهم: أهل الذكر هذه الأُمة؛ قال عبد الرحمن بن زيد: الذكر القرآن، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والراجح الأول.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾.

أي: أرسلناهم بالبينات والزبر، وهي: المعجزات والكتب.

﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وأنزلنا إليك القرآن لتبين للناس ما أنزل إليهم ربهم من العقائد والأحكام، والشرائع والعبادات، وسمي القرآن ذكراً لأنه موعظة وتنبيه، ليتفكروا فيما خلقهم الله تعالى من أجله ويتعظوا به.

---

١ - تفسير الطبري (١٤/ ٢٢٧)

٢ - رواه عبد الرزاق ف مصنفه (٦/ ٢١٠)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

هذه الآية تهديد لمشركي قريش، يقول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾، بتكذيب الرسل، والصد عن سبيل الله تعالى، وفتنة المؤمنين في دينهم، ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾، على كفرهم بالله، وصدهم عن سبيله، كما خسف بقارون، أو يأتيهم العذاب من حيث يظنون أنه مصدر للأمن، في حالِ غَفلتهم نائمين أو وهم يلعبون.

وهو استفهام إنكاري، المراد به، ومعناه: ينبغي أن لا يأمَنوا عقوبة بغيهم.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

أو يهلكهم الله حال انشغالهم بمعايشهم الملهية، والأخذُ هنا كناية عن الإهلاك، كما في قوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ولن يعجزوا الله تعالى إذا أرادهم بسوء.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ﴾.

أو يهلكهم الله تعالى في حال خوفهم من الهلاك وعلى حذرٍ من أسباب العذاب، فيكون وقوع العذاب أشد، بأن يهلك بعضَ ما يجاورهم من البلاد، ويدَعهم على خوفٍ أن يأخذهم، ثمَّ يأخذهم، فيكون أخذًا بعد تنغيصِ العيش عليهم زمانًا بتخوُّفهم كلَّ وقتٍ أن ينزلَ عليهم.

قال ابن عباس: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾: إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك.[2]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٤٥- ٤٧

٢ - تفسير الطبري (١٤/ ٢٣٧)

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾.

حيث أمهلكم للتوبة ولم يعاجلكم بالعقوبة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ داخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.[1]

قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿أَوَلَمْ تَرَوْا﴾، بالتاء، فحتمل أن يكون خطابًا للناس جميعًا، ويحتمل أن يكون خطابًا للذين مكروا السيئات على سبيل الالتفات، وقرأ الباقون ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾، بالياء خطابًا للذين مكروا السيئات.

يقول الله تعالى: أولم يَرَ هؤلاء الذين مكَروا السيئاتِ، إلى ما خلَق اللهُ مِن جسم قائمٍ؛ شجرٍ أو جبلٍ أو بناء له ظلٌّ، ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ﴾، التَّفيُّؤ: تَفعُّل من فاء يفيء؛ أي: رجع، من جانب إلى جانب، والمراد بالفيء هنا مطلق الظل.

قال قتادة: ظل كل شيء فيئه، وظل كل شيء سجوده عن اليمين والشمائل، فاليمين أول النهار، والشمائل آخر النهار.[2]

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾.

أي: عن جانبي كل واحد منها، واستُعير لهما ذلك من يمين الإنسانِ وشمالِه، فهي في أولِ النهارِ على حالٍ، ثم تنقصُ ثم تعودَ في آخرِ النهارِ إلى حالٍ أخرى.

ووحد اليمين، وجمع الشمائل لوجوه منها: المعنى: عن يمين كلِّ واحدٍ من ذلك، وعن شمائل الجميع.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٤٨- ٥٠

٢ - تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٦٩)

وقيل: اكتفى في الأوَّل بالواحد لأنَّه جنس يصلح لإرادة الجمع به؛ كما قال تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]، وجمع في الشمَّائل لتحقيق الجمع المراد بالآية.[١]

﴿سُجَّداً لِلَّهِ﴾.

حالٌ من الظلال، والمرادُ بسجودها خضوعها لله تعالى وعبادتها له تعالى في تفيئها، وهو سجود حقيقي؛ قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل.

﴿وَهُمْ داخِرُونَ﴾.

أي: وهم صاغرون.

١ - التيسير في التفسير (٩/ ٢٧٨)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.[١]

يقولُ الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾؛ ولله يسجد على الحقيقة ويَخضعُ ويَخشعُ لأمرِه ﴿ما فِي السَّماواتِ﴾، يعني: الملائكة، وكل ما في السماوات من متحرك وساكن، ﴿وَما فِي الْأَرْضِ﴾، يعني كل ما في الأرض من متحرك وساكن، وما لغير العاقل، فدخل في الخبر العاقل من باب الأولى.

﴿مِنْ دابَّةٍ﴾.

قال ابن عباس: يريد: كلّ ما دبّ على الأرض من جميع الخلق، من الناس وغيرهم.[٢]

ومن هنا بيانية؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ [النساء: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ﴾ [النساء: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾.[٣]

﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾.

ذكر الملائكة بعد قوله: ﴿ما فِي السَّماواتِ﴾، من باب عطف الخاص على العام.

﴿وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

لا يستكبرون عن السجود والخضوع والتذلُّلِ له بالطاعةِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾.[٤]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٤٩- ٥٠

٢ - التفسير البسيط (٣/ ٤٥٨)

٣ - سورة النحل: الآية/ ٤٨

٤ - سورة الأسراء: الآية/ ٤٤

﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.

يخبر الله تعالى أن كل ما ذكر مما في السماوات وما في الأرض والملائكة يخافون ربهم تبارك وتعالى خوف تعظيم وإجلال، ويخافون عذابه ونقمته تعالى، ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، إثبات لصفة العلو لله تعالى، علو الذات؛ كما قال تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، وعلو القدر؛ كما قال تعالى: ﴿فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، وعلو القهر؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.[1]

﴿وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.

أي: يمتثلون أمره تعالى بفعل الطاعات، وترك المحظورات.

١ - سورة الأنعام: الآية/ ١٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ واصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.[١]

يقول الله تعالى مخاطبًا الناس جميعًا: لا تجعلوا مع الله إله آخر، ولا تعبدوا آلهة مع الله، فليس لله شريك، وليس له ندٌّ ولا نظير، إنما الذي يستحق العبادة هو الله وحده لا شريك له، فلا تعبدوا غيره، ولا ترهبوا أحدًا سواه.

﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.

لما كان الحامل لكثير من الناس على عبادة تلك الأوثان، الخوف أن تصيبهم بالآفات قال الله تعالى لهم: إن كنتم ترهبون شيئًا فإياي فارهبون فإن هؤلاء لا يملكون نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾.

يقول الله تعالى وكما أنه تعالى هو الذي يملك النفع والضر، فإنه تعالى هو الذي يملك ما في السماوات والأرض، وليس لأحد من الخلق معه شيء.

﴿وَلَهُ الدِّينُ واصِباً﴾.

المراد بالدين هنا: الطاعة هاهنا، والواصب: الدائم، يقال: وصب الشيء يصب وصوبا فهو واصب إذا دام؛ أي: وله الطاعةُ والإخلاصُ دائمًا، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٩]، قال مجاهد: دائمٌ. وقال الدُّؤلي:

لا أبتغي الحمدَ القليلَ بقاؤُه ***** يومًا بذمِّ الدَّهرِ أجمعَ واصِبا

وهو خبر ومعناه الأمر، قال الزجاج: أي طاعته واجبة أبدًا.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٥١، ٥٢

وقال ابن قتيبة: ليس من أحد يطاع إلا انقطع ذلك بزوال، أو هلكة غير الله، فإن الطاعة تدوم له.[1]

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

سؤال الغرض منه الإنكار؛ أي: ما ينبغي لكم أن تتَّقوا غيرَه ولا تعبدوا سواه.

١ - التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٦٦)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.[1]

يخبر الله تعالى أن من دلائل وحدانيته تعالى أنه مصدر كل نعمة، وهو موجدها.

﴿ما﴾ شرطيَّة، أو متضمنة معنى الشرط، والمعنى: أيُّ شيءٍ اتصلَ بكم من النعمِ جليلها وحقيرها مِن سعةٍ ورزقٍ، وصحَّةِ جسمٍ، وكثرةِ مالٍ، وأولادٍ فمن الله وحده لا سواه.

﴿ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ﴾.

أي: ثم إذا أصابكم الضر في الصحة أو المال أو الولد أو غير ذلك فليس لكم إلا الله تعالى، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ﴾، أي: فإليه وحده تَضِجُّون بالدُّعاء، والجؤار هو رفع الصوت على وجه الاستغاثة، وتقديم الجار والمجرور للتخصيص.

﴿ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

ثم إذا كشف الله تعالى ما بكم من الضر، واستجاب دعاءكم، ودفع عنكم البلاء، إذا فريق منكم يشركون بالله تعالى، فيجعلون الفضل لغير الله، ويحمدون العباد على ما آتاهم الله.

﴿لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ﴾.

اللام هنا للعاقبة؛ فتكون عاقبة أمرهم الكفر بنعم الله تعالى.

﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

وعيد من الله تعالى على كفر النعم، وصرف ما لله تعالى من المحامد والعبادات لغيره.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٥٣- ٥٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِما لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾.[١]

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة أنه تعالى مصدر كل نعمة، وخالقها، وأنه تعالى هو الذي يكشف الضر ويجلب النفع، وأن المشركين قد انحرفوا عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها فعبدوا غير الله تعالى، بين الله تعالى هنا شيئًا من صور الانحراف العقدي عند هؤلاء المشركين.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِما لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ﴾.

يقول الله تعالى عن هؤلاء المشركين الذين عبدوا الأوثان، وقربوا لها القرابين: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِما لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ﴾، أي: يجعلون لما لا يعلمون منه ضرًا ولا نفعًا، فلم ينفعوهم يومًا بنافعة، ولم يضروهم يومًا بضررٍ، ﴿نَصِيباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ﴾، حظًا وجزءًا مما رزقهم الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعامِ نَصِيباً فَقالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهذا لِشُرَكائِنا...﴾.[٢]

﴿تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾.

ولما كان ذلك منهم تشريعًا لم يأذن به الله، كان افتراءً على الله تعالى، لا جرم توعدهم الله تعالى فقال: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾، أقسم تعالى بذاته الكريمة ليسألنهم سؤال توبيخ؛ ليجزيهم على افترائهم، وفيه التفاتٌ من الغيبة إلى الخطابِ، ترهيبًا لهم وردعًا لأمثالهم.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٥٦، ٥٧

٢ - سورة الأنعام: الآية/ ١٣٦

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

ومن صور الانحراف العقدي عند هؤلاء المشركين أنهم يجعلون لله تعالى البنات، مع استنكافهم عن نسبة البنات إليهم، فقد كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، قال قتادة: جعلوا الملائكة بنات الله من الجن وكذبوا أعداء الله.[١]

١ - رواه عبد الرزاق في تفسيره- برقم: ٢٥٦٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾.[1]

يقول الله تعالى: وإذا أخبر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة أنثى اسودَّ وجهه من الهم والغم والحزن، من كراهته لولادتها، فيتملكه الغيظ ويمتلئ غمًّا، ويحاول جاهدًا كتم غيظه، وإخفاء همه وغمه، وذكر التبشير هنا لأن ذلك يظهر على أسارير وجهه، ولون بشرته.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: أي: حزين.[2]

وقيل: هو المغموم الَّذي يُطْبِقُ فمَه لا يتكلَّم؛ للغمِّ الذي به.

﴿يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾.

أي: يستخفي حياءً منهم، وكراهةَ أنْ يُهنَّأ بها.

قال المفسرون: كان الرجل في الجاهلية إذا ضرب امرأتَه المخاضُ توارى إلى أن يعلم ما يُولدُ له، فإن كان ذكرًا سُرَّ به وابتهج، وإن كانت أُنثى اكتأب لها وحزن ولم يظهر للناس أيامًا، يُدبِّر كيف يصنع في أمرها.[3]

﴿أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ﴾.

أيمسكُ ما بُشِّرَ به على شعوره بالذل والهوان، أم يواري ما بُشر به في التراب، ويدفن تلك المولودة حية؟

١ - سورة النحل: الآية/ ٥٨، ٥٩

٢ - تفسير الطبري (١٤/ ٢٥٦)

٣ - التفسير البسيط (١٣/ ٩٣)

﴿أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾.

أي: ما أسوأ حكمَهم! حيث يجعلون لله تعالى البنات، ويترفعون عن نسبتها إليهم، وحين يأدون البنات بغير جريرة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) وَلَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.[1]

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم يجعلون لله ما يكرهون ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون بقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾، بين سبحانه وتعالى هنا أنهم أولى بكل قبيح من الصفات، وأنه تعالى أولى بكل صفة كريمة عالية.

﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى﴾.

يقول الله تعالى: للذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء، والجنة والنار صفة السوء؛ وذلك لأنهم نزهوا أنفسهم عما نسبوه لله تعالى، ولله تعالى الصفة العليا، في الملك والسُّلطان، والعزَّة والقدرة، والتَّنزُّه عن الشُّركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد.

وقيل: لما قالوا إن البنات لله فقد جعلوا له مثلًا أبا البنات من البشر، وكثرة البنات عندهم مكروه ذميم، فهو مثل السوء الذي أخبر الله تعالى أنه لهم ليس في البنات فقط، لكن لما جعلوه هم في البنات جعله هو لهم على الإطلاق في كل سوء، ولا غاية أبعد من عذاب النار، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى﴾، على الإطلاق أيضا في الكمال المستغني، وقال قتادة: الْمَثَلُ الْأَعْلى لا إله إلا الله.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

أي: وهو الممتنِعُ على مَن رام مغالبَته، فلا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه، الحكيم في أقوله وأفعاله.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٦٠، ٦١

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ﴾.

يخبر تعالى عن حلمه على العصاة من خلقه ولو أنه تعالى عاقبهم في الدنيا على كفرهم وعصيانهم ما ترك على وجه الأرض من دابة، إذ الظلم من شيم النفوس، والكفر حال أكثر الناس؛ كما قال تعالى: ﴿وَكانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً﴾.[1]

عن أبي سلمة، قال: سمع أبو هريرة رجلًا وهو يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه. قال: فالتفت إليه فقال: بلى، والله إن الحبارى لتموت في وكرها هزلًا بظلم الظالم.[2]

﴿وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

ولكن اقتضت حكمته تعالى أن يؤخرهم إلى أجلهم الذي قدره الله تعالى، رحمة بهم وإمهالا لهم.

١ - سورة الإسراء: الآية/ ٦٧

٢ - رواه ابن جرير (١٤/ ٢٦٠)، وابن أبي الدنيا في العقوبات- رقم: ٢٦٩

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (٦٢) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.[1]

يقول الله تعالى عن هؤلاء المشركين: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنى﴾، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾؛ أن تنمق الكذب وتزينه، وتبالغ في حليته طلبًا لرواجه، وتصديقه، قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى وصف ألسنتهم الكذب؟ قلت: هو من فصيح الكلام وبليغه، جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه، فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصوّرته بصورته، كقولهم: ووجهها يصف الجمال. وعينها تصف السحر.[2]

﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنى﴾.

هذا تفسير للكذب الذي وصفته ألسنتهم، والمراد به: الذكورَ من الأولاد، وهو قولُ مجاهدٍ وقَتادةَ.

وقيل المراد: الأحوال الحسنة في الآخرة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾.[3]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٦٢، ٦٣

٢ - تفسير الكشاف (٢/ ٦٤١)

٣ - سورة الكهف: الآية/ ٣٥، ٣٦

﴿لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾.

أي: حَقًّا لا شك فيه ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ في الآخرةِ، وهو ردٌّ لكلامهم، وإثباتٌ لضده، ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾.

أي: معجلون إلى النار، من الفَرَط وهو السابق إلى الوِرْد.

وقيل: مَنسيُّون متروكون، من أفرطتُ فلانًا خلفي: إذا خلَّفته ونسيته.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ﴾.

يقول الله تعالى مسليًا لرسوله صلى الله عليه وسلم: أقسم يا محمد صلى الله عليه وسلم لقد أرسلنا إلى الأمم الخالية من قبلك رسلًا فكذبت الرسل، وزين لهم الشيطان الشرك والمعاصيَ وتكذيب الرسل، فلك في إخوانك من المرسلين أسوة.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: فالشَّيطانُ وليُّ المشركين اليومَ، كما كان وليَّ المشركين في الأمم الغابرة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.[1]

يقولُ الله تعالى لرسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم: وما أَنْزَلنا عليك يا محمدُ القرآن، وما أرسلناك للناس رسولًا إلا لتبين للناس ما شرعه الله تعالى لهم، وما أحدثوه مخالفين به شرع الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]، وتقدم في هذه السورة قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[2]

﴿وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

أي: وما أنزلناه إلا ليكون هدى ورحمة للمؤمنين بالله تعالى، والمصدقين بكتابه، العاملين بأحكامه.

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

مناسبة الآية لما تقدم:

لما تقدم الكلام عن دلائل وحدانية الله تعالى وأنه مصدر كل نعمة، أعقب ذلك بكلام معترض، ثم عاد الكلام للدلالة على وحدانية الله تعالى، والتذكير بنعمه تعالى على العباد.

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾.

يخبر تعالى أنه هو الذي أنزل المطر، فأحيا به الأرض بعد جفافها ويبسها بأنواع النبات، والفاء في قوله: ﴿فَأَحْيا﴾، للتعقيب المناسب للمهلة بين إنزال المطر وإنبات النبات، كقولهم: تزوج فلان فولد له، ولم تكن إلا مدة الحمل.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٦٤، ٦٥

٢ - سورة النحل: الآية/ ٤٤

﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

يعني: سماعَ تَدبُّرٍ واستجابةٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[1]

يقول الله تعالى: وإن لكم أيها الناس في الأنعام لموعظة بليغة ودلالةً قاطعة تعتبرون بحالها وتستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيَّته، ومدى عنايته تعالى بكم، وكثرة نعمه عليكم.

والعِبرةُ: تمثيلُ الشَّيء بالشَّيء لتُعرفَ حقيقته من طريق المشاكلة.

﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾.

ذكر الله تعالى هنا صورة من صور الاعتبار في الأنعام فقال: نسقيكم مما في بطون هذه الأنعام لبنًا خالصا سائغًا للشاربين، خرج من بين الفرثِ والدم، والفرْثُ فُضالةُ ما يبقى من العلف في الكَرِش، فإذا نضج الغذاء في معدة البهيمة تكون منه الدم وتحول إلى العروق، وتكون منه لبن وتحول إلى الضرع، وتكون منه بول وتحول إلى المثانة، وتكون منه روث وتحول إلى المخرج، ولا يختلط شيء منها بالآخر، ولا يتغير به.

وذُكِّر الضمير وأفرد هنا فقال: ﴿بُطُونِهِ﴾ مراعاة للَّفظ فإن الأنعام لفظ مفرد على وزن أخلاق؛ لذلك عدَّه سيبويه في المفردات المبنيَّة على وزن أفعال، وأُنّث في سورة المؤمنين ﴿بُطُونِهَا﴾ للمعنى؛ لإنَّه اسم جمع.

﴿لَبَناً خالِصاً﴾.

أي: عن شائبة ما في الدم والفرثِ من الأوصاف.

﴿سائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾.

سهلَ المرور في حلوقهم. وقيل: لم يغَصَّ أحدٌ باللبن.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٦٦، ٦٧

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾.

الكلام عطف على قوله: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾، وفي الكلام حذف اختصار تقديره ونطعمكم من ثمرات النخيل والأعناب؛ أي: من عصيرهما، وحذف لدلالة نسقيكم قبله.

﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾.

الضمير في ﴿مِنْهُ﴾، عائد على (ما) محذوفة أي: ما تتخذون منه، ﴿سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾.

والسَّكَرُ: هو خمرُ التَّمر والعنب، والرزق الحسن ما أحل منهما كالزبيب، والخل، والتمر.

عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾، قال: السكر: ما حرم من ثمرها، والرزق الحسن: ما أحل الله من ثمرها.[1]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

لَمَّا ذكر الاعتبار في أول الكلام: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً﴾ ناسبَ أن يختمه بذكر العقل: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؛ لأنَّه لا يَعتَبِرُ إلَّا ذوو العقول.

١ - رواه سعيد بن منصور في التفسير- حديث رقم: ١٢٢٨، وابن جرير- ط هجر (١٤/ ٢٧٦)، والضياء المقدسي في المختارة- حديث رقم: ٢٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[1]

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: وألهَم ربُّك يا محمدُ النحل وقذف في أنفسها: ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً﴾، قال مجاهد: ألهَمها إلهامًا.

و(أنْ) هنا تفسيرية؛ لأن في الإيحاء معنى القول؛ أي: ألهمها إلهامًا مفاده: ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ﴾، أي: تتَّخذ لأنفسها بيوتًا في الجبال وفي الشجر إذا كانت في البرية ولا أصحاب لها.

﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.

أَيْ: وألهما إذا كان لها أصحاب أن تتخذ بيوتًا مما يهيئ لها أصحابها ويبنون من الخلايا، ومعنى: عرش: هيأ، وقال الطبري: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يعني: ما يبنون من السقوف.

﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾.

وأوحى الله تعالى إلى أن تأكل من كل الثمرات حلوها ومرها، فتمتص من رحيقِ النُّوَّار الذي يكون منه الثمار.

وثم للترتيب فإنَّها تسوِّي البيوت أوَّلًا، ثم تأخذ في امتصاص الرحيق وجَرْس العسل.

﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾.

أي: فاسلكي الطرق التي ألهمك الله تعالى إياها، راجعةً إلى بيوتك لا تضلِّين فيها، مهما ابتعدت عن الخلية؛ فإن الله تعالى قد ذلل لك تلك الطرق وسهلها، ولو كان بينك وبين الخلية مسافات شاسعة.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٦٨، ٦٩

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾.

الكلام فيه التفات من خطاب النَّحل إلى الغيبة؛ للدلالة على قدرة الله تعالى الباهرة، وبيان منته تعالى على الناس بتلك النعمة العظيمة، وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾، هو العسل؛ لأنه مشروب، ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾، منه الأبيضُ والأسودُ والأصفرُ والأحمرُ بحسب سنِّ النَّحل، وما يأكله، والفصلِ الذي وضعت فيه العسل.

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.

ومن دلائل قدرة الله تعالى أنه جعل في العسل شفاءً للناس، مما يعرض لهم من الأمراض؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: اسْقِهِ عَسَلًا. فَسَقَاهُ، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَال: إِنِّي سَقَيْتُهُ عَسَلًا فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا! فَقَالَ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلًا. فَقَالَ: لَقَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: صَدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ! فَسَقَاهُ فَبَرَأَ».[1]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ فَفِي شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ لَذْعَةٍ مِنْ نَارٍ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ».[2]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وتذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ لأنها آية عجيبة من دلائل قدرة الله تعالى.

---

١ - رواه البخاري- كتاب الطب، باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، حديث رقم: ٥٦٨٤، ومسلم- كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل، حديث رقم: ٢٢١٧

٢ - رواه البخاري- كتاب الطب، باب الحجم من الشقيقة والصداع، حديث رقم: ٥٧٠٢، ومسلم- كتاب السلام، باب: لكل داء دواء، واستحباب التداوي، حديث رقم: ٢٢٠٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلى مَا مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.[1]

ومن دلائل قدرة الله تعالى، ومن نعمه على العباد، أنه هو الذي خلقهم من العدم، وأنه تعالى هو الذي يتوفى لعباد لتجزى كل نفس بما عملت، فهو المستحق للعبادة وحده؛ لأنه المتفرد بالخلق.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

ومن دلائل قدرته تعالى أنه تعالى قسم الأعمار والآجال كما قسم الأرزاق، فمن الناس من يطول عمره حتى يرد إلى أرذل العمر، فلا يعقل ما كان يعقله حال الشباب والقوة، ومنهم من يتوفى حال الشباب، ومنهم من يتوفى حال الصبا، وأرذل العمر: أردأه الذي تنقص فيه قوته، وينقص عقله ويصيره إلى الخرف.

وقال ابن عباس: يعني إلى أسفل العمر، يصير كالصبي الذي لا عقل له؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ مَا نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.[2]

روي عن علي قال: أرذل العمر خمس وسبعون سنة. وقيل: ثمانون سنة. وقال قتادة: أرذل العمر تسعون سنة.[3]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذ من أن يردَّ إلى أرذل العمر؛ فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه «كَانَ يَأْمُرُ بِهَؤُلَاءِ الْخَمْسِ وَيُحَدِّثُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ،

١ - سورة النحل: الآية/ ٧٠، ٧١
٢ - سورة الحج: الآية/ ٥
٣ - التفسير البسيط (١٣/ ١٢٨)

وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».[1]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَتَعَوَّذُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ».[2]

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

إن الله عليم بعباده لا يخفى عليه منهم شيء، قدير على إحيائهم وإفنائهم ونقلهم من حال إلى حال.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾.

والله تعالى هو الذي قسم الأرزاق وفضل بعض الناس على بعض، فأغنى بعضهم وأفقر بعضًا.

﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾.

فلا يرد الأغنياء ما آتاهم الله تعالى من الأموال على مماليكهم، ولا يقاسمونهم أملاكهم، حتى يتساوون في الغنى، فإذا كانوا يأنفون من ذلك، ويستنكفون من مساواة المماليك لهم، فكيف جعلوا أوثانهم شركاء لله تعالى، وهو الخالق الرازق؟

﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

جحدوا نعمة الله لما أشركوا معه غيره؛ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهذا لِشُرَكَائِنا﴾.[3]

١ - رواه البخاري- كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة الدنيا، حديث رقم: ٦٣٩٠

٢ - رواه البخاري- كتاب الدعوات، باب التعوذ من أرذل العمر ﴿أَرَاذِلَنَا﴾ أسقاطنا، حديث رقم: ٦٣٧١

٣ - سورة الأنعام: الآية/ ١٣٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.[1]

ومن دلائل قدرة الله تعالى، ومن آلائه العظيمة على العباد أنه جعل لهم من أنفسهم أزواجًا ليسكنوا إليهم، يعنى: أنه خلَق مِن آدمَ زوجتَه حواءَ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[2]

عَنْ قَتَادَة فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً﴾، قَالَ: خلق آدم ثُمَّ خلق زوجته منه.[3]

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾.

ومن دلائل قدرته ومن نعمه تعالى أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وأحفادًا؛ روى ابن أبي حاتم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الحفدة الولد وولده. وعَنْه قال: الحفدة بنو البنين.

وقيل الحفدة: الأصهار، وهم أَختانُ الرجلِ على بناتِه؛ روى ابن أبي حاتم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الحفدة الأصهار.[4]

وعن زِرّ بن حُبيشٍ، قال: قال لي عبدُ اللهِ بن مسعودٍ: ما الحَفَدةُ يا زِرُّ؟ قال: قلتُ: هم حُفّادُ الرجلِ، من ولدِه وولدِ ولدِه. قال: لا، هم الأصهارُ.[5]

والحفدة في اللغة الأصهار؛ قال الشاعر:

ولو أنَّ نَفْسِي طاوعتني لأَصْبَحَتْ ***** لها حَفَدٌ مِمَّا يُعدُّ كثيرُ

---

١ – سورة النحل: الآية/ ٧٢

٢ – سورة الروم: الآية/ ٢١

٣ – رواه ابن أبي حاتم– رقم: ١٢٥٨٤، والطبري– ط هجر (١٤/ ٢٩٥)

٤ – تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩١)

٥ – رواه عبد الرزاق– رقم: ١٥٠٢، وابن جرير (١٤/ ٢٩٨)

ولكنَّها نَفْسٌ عَلَيَّ أبِيَّةٌ ***** عَيُوفٌ لأصهار اللئِام قذورُ

وعن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم أنهم الخدم.[1]

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

أي: ورزقكم من المطعومات النافعة الطيبة من الحبوب والثمار وغيرها.

﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

سؤال الغرض منه الأنكار على المشركين الذين أحلوا ما حرم الله من الخبائث كالميتة، وحرموا ما أحله الله من الطيبات كالمذكاة بغير علم.

١ - تفسير الطبري (١٤/ ٢٩٨)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.[١]

يقول الله تعالى: ويعبد هؤلاء المشركون من الأوثان ما يملك لهم شيئًا من الرزق، فلا يملكون إنزال المطر من السَّماء، ولا إنبات النبات من الأرض، وقوله: ﴿شَيْئاً﴾، مبالغة في المنفي، أي: فلا يملكون ولو شيئًا قليلا من الرزق.

﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

أي: ولو حاولوا ذلك بأنفسهم لما استطاعوا، فنفى عنهم الملك ونفى عنهم القدرة، وذلك تمام العجز، فقد يملك الإنسان مالًا فلا يعطي، لكنه يستطيع أن يعطي إذا أراد، أما الأصنام فلا ملك لها ولا قدرة.

قال قتادة: هذه الأوثان التي تعبد من دون الله، لا تملك لمن يعبدها رزقا ولا ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا.

﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

أي: فلا تشبهوا الله تعالى بخلقه؛ فإن ضرب المثل إنَّما هو تشبيه ذاتٍ بذاتٍ أو وصفٍ بوصفٍ والله تعالى منزَّه عن ذلك.

قال ابن عباس، قوله: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ﴾، يعني اتخاذهم الأصنام، يقول: لا تجعلوا معي إلها غيري، فإنه لا إله غيري.[٢]

وقال قتادة: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ﴾، فإنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.[٣]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٧٣، ٧٤

٢ - تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٥)

٣ - تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٦)

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

إن الله يعلم ما كان وما هو كائن، وأنتم لا تعلمون شيئًا؛ لذلك أشركتم بالله ما لا يملك لكم رزقًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.[1]

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين ليبين لهم قبح الشرك وشناعته، يقول لهم: مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين حر مالك قد رزقه الله مالًا فهو يتصرف فيه وينفق منه.

وقال ابن عباس: قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ﴾ يعني: الكافر أنه لا يستطيع أن ينفق نفقة في سبيل الله ﴿وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْراً﴾، يعني المؤمن، وهذا المثل في النفقة.[2]

وقال قتادة: هَذَا مثل ضربه الله للكافر رزقه الله مالاً فلم يقدم فيه خيرًا ولم يعمل فيه بطاعة الله وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا قَالَ: هُوَ المؤْمِن أعطاه الله مالًا رزقًا حلالًا، فعمل فيه بطاعة الله، وأخذه بشكر ومعرفة حق الله، فأثابه الله عَلَى مَا رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله في الْجَنَّة.[3]

وقيل: هو مثل لله تعالى وللأصنام، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك، وبيده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء.

﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾.

أي: هل يستوي الفريقان الأحرار والعبيد، فإذا كانوا لا يستوون عندكم مع كونهم مشتركِين في الإنسانيَّة، فكيف أشركتم بالله تعالى، من هم عبيد له وخلق من خلقه؟!

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٧٥

٢ - تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٨)

٣ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٢٥٩٦، والطبري- ط. هجر (١٤/ ٣٠٨)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

الحمد كلُّهُ لله تعالى، لا يستحقُّه غيرُه، فضلًا عن العبادة؛ لأنَّه مولى النِّعم كلِّها.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿بَلْ﴾ اضرابٌ وردٌّ لِمَا زعموه من استحقاق الأصنام للعبادة والشكر، والمعنى: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون أن النعم كلها من الله تعالى، فينسبونها لغيره ويعبدون تلك الأصنام من دون الله تعالى.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلى مَوْلاهُ أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[1]

الأبكمُ: الذي ولد أخرس، فهو عييٌّ لا يتكلم ولا يَفهَمُ ولا يُفهَمُ عنه.

قيل: هذا المثل الثَّاني ضربَه اللَّهُ تعالى لنفسِه وللأوثان، فالذي كالأبكم الذي لا يقدر على شيء، وهو عالة على مولاه، كلما كلف بعمل لا يقوم به ولا يحسنه لأنه لا يَفهَمُ ولا يُفهَمُ عنه، هذا مثل الوثن، لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، ولا ينفع ولا يضر، ويقوم بشأنه سدنته فيُحمَل ويُنقَل مِن موضعٍ إلى موضعٍ.

﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ....﴾ [النحل: ٩٠]، ومن لوازم الأمر بالعدل، الكلام الذي نفي عن الأول فإنه: ﴿أَبْكَمُ﴾، ومن لوازم الأمر بالعدل: القدرة وهي منتفية عن الأول فإنه: ﴿لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ﴾، ومن لوازم الأمر بالعدل: القيام على شؤون غيره، وقضاء حوائجهم، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وهو منتفٍ عن الأول فإنه: ﴿كَلٌّ عَلى مَوْلاهُ﴾، ومن لوازم الأمر بالعدل: تعدي النفع إلى الغير، فالآمرُ بالعدل يأتي بكلِّ خيرٍ، وهو منتفٍ عن الأول؛ فإنه لا يتأتي منه خيرٌ: ﴿أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾، فلا يستويان أبدًا.

وقال ابن عباس: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلى مَوْلاهُ﴾، إلى آخر الآية: يعني بالأبكم الذي هو كل على مولاه: الكافر، وبقوله: ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: المؤمن، وهذا المثل في الأعمال.[2]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٧٦

٢ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٢٦٠٣، وابن جرير- ط. هجر (١٤/ ٣١١)

﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾.

سؤال الغرض من الإنكار على المشركين الذين عبدوا الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم، مع الله تعالى، فهل يستوي من هذه صفاته ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾؛ أي: بالقسط، فقوله الحق وفعله حق ودينه مستقيم.

﴿وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وَهُوَ في نفسه عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ على سيرة صالحة ودين قويم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، يعني: على الحقِّ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧) وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[1]

مازال الكلام في سياق ذكر دلائل وحدانية الله تعالى وقدرته الباهرة، يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: ولله تعالى وحده علم ما غاب عن أبصاركم في السماوات والأرض، دون آلهتكم التي تدعون من دونه، والغيب هنا بالنسبة للعباد فإن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿وَما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾.

وما شأن الساعة في سرعة وقوعها ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾، واللمح النظر بسرعة، وإنما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه، وقوله: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾، أي: أو هو أسرع من لمح البصر؛ ودل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا».[2]

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

لا يعجزه شيء، ﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[3]

---

١ – سورة النحل: الآية/ ٧٧، ٧٨

٢ – كتاب الفتن، باب، حديث رقم: ٧١٢١

٣ – سورة يس: الآية/ ٨٢

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾.

ومن دلائل قدرته تعالى، ومن آلائه العظيمة على العباد أنه تعالى أخرجهم من بطون أمهاتهم وهم في غاية العجز، وغاية الجهل.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾.

خص الله تعالى السمع والأبصار والأفئدة لأنها وسائل الإدراك، وقد السمع على الأبصار لأنه أوسع فإن العباد يسمعون ما لا يرونه، وهو أنفع فإن من لم يسمع لم يتكلم، وذكر الأفئدة لأنها آلة العقل.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

أي: لتشكروا نعم الله التي أنعم بها عليكم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَاّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ﴾.[1]

مازال الكلام عن دلائل قدرة الله تعالى، وعن آلائه العظيمة، يقول تعالى: ألم ينظر هؤلاء المشركون إلى الطير كيف جعلها الله مهيئةً للطيران، وهداها إليه بقدرته، فجعلهن مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية للطيران، ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾، يعني في الفضاء الذي بين السماء والأرض، وأضاف الجو إلى السماء لارتفاعه عن الأرض.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَاّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

في حال الطيران وقبض وبسط أجنحتها، ووقوفهن إلا الله تعالى بقدرته، ولا يدرك تلك الآية وينتفع بها إلا المؤمنون.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾.

يخبر الله تعالى أنه هو الذي جعل للعباد من بيوتهم سكنًا يأوون إليه، ويحتمون به من حرِّ الصيف وبرد الشتاء، بما خلقه لهم من الحجر والخشب وغيرهما من آلات البناء، و﴿سَكَناً﴾. فَعَلٌ بمعنى مفعولٍ، وهو ما يُسْكَن فيه أو إليه، وجعل هنا بمعنى صير.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾.

أي: وهو تعالى الذي جعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا، وهي القِباب التي تُعمَل من الأُدُم، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾، يخفُّ عليكم حملُها ونقلها، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾، الظَّعن بفتح العين وتسكينها: الارتحال.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٧٩، ٨٠

﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾، ووقتَ نزولكم وعند إقامتكم، فذكر الله تعالى البيوت الدائمة أولا لأهل المدن، ثم ذكر البيوت المؤقتة للبدو الرحل، فشملت النعمة أهل الحضر وأهل البادية.

﴿وَمِنْ أَصْوافِها وَأَوْبارِها وَأَشْعارِها أَثاثاً وَمَتاعاً إِلى حِينٍ﴾.

أي: وجعل لكم من أصواف الأنعام وأوبارها وأشعارها ﴿أَثَاثًا﴾؛ يعني: أمتعة وفُرُشًا وثيابًا تنتفعون بها في الحضر والسَّفر.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.[1]

يقول الله تعالى: ومن دلائل قدرته تعالى، ومن نعمه التي أنعم بها عليكم، أيها الناس، أنه هو الذي جعل لكم مما خلق من السحاب والأشجار والجبال وغيرها ظلالًا تستظلون بها من شدة الحر.

قال ابن عباس: يريد ظلال الغمام والسحاب.[2]

والظلال جمع ظل.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً﴾.

ومن نعمه تعالى أنه هو الذي جعل لكم من الجبال أَكْناناً جمع كنّ، وهو السَّتر وما يُستكَنُّ به من المطر والحرِّ والبرد، من الكهوف والغيران التي تكون في الجبال، وما ينحته الناس من البيوت في الجبال.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾.

ومن نعمه تعالى أنه هو الذي جعل لكم هي القمصان والثياب من القطن والصوف والكتان وغيرها تَقِيكُمُ الْحَرَّ، ولم يذكر البرد، وإن كان ما يقي البرد أعظمَ في المنَّة؛ لأنَّ ذِكْرَ أحدهما يتضمن ذِكْر الآخر؛ كقول الشَّاعر:

وما أدري إذا يمَّمْتُ أرضًا ***** أريدُ الخيرَ أيَّهما يليني

ذكر الخير وكنَى عن اثنين، وهما الخيرُ والشَّر، وتقدير الكلام: أريد الخير وأتقي الشر؛ لأن كل من يريد الخير يتقي الشر.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٨١، ٨٢

٢ - التفسير البسيط (١٣/ ١٥٩)

والسِّربالُ ما يلبس على جميع البدن كالقميص وغيره.

قال قتادة: السِّربالُ: القميصُ من القطنِ والكتَّان والصُّوف.

﴿وَسَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾.

أي: الدروعَ من الحديد والجلود التي تقيكم ضربات السيوف وطعنات الرماح ورمي السهام، والبأس الشدة والمراد بها هنا شدة الطعن والضرب والرمي.

﴿كَذلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

أي: كما أنعم عليكم بتلك النعم المذكورة ذكرها لكم لتتفكروا فيها فتؤمنوا به تعالى فتسلموا من عذاب به.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾.

أي: فإن أعرضوا عن الإيمان، وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، ويحتمل أن يكون مضارعًا؛ ويكون تقديره: فإنْ تتولَّوا، وحُذفَتِ التَّاء، فيكونُ جاريًا على الخطاب السَّابق.

﴿فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.

أي: فلا يضرُّك إعراضهم فإنَّما عليك البلاغ، وقد بلَّغْتَ، وفيه تهديد لهم على إعراضهم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.[١]

يخبر الله تعالى عن المشركين الذين جعلوا مع الله آلهة أخرى، ونسبوا لها ما لا ينبغي إلا لله تعالى، وجحدوا نعم الله التي أنعم بها عليهم، وهم يعرفون بقلوبهم أنها من الله تعالى، ثم ينكرونها بألسنتهم، وهذا شأن الكفار في كل زمان ومكان؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]، هو الكفور للنعمة.

واختلف العلماء في المراد بنعمة الله هنا فقال السدي: يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم، وقال مجاهد: يعني ما عدد من النعم في هذه السورة، يعرفون أنها كلها نعم عليهم، ولكن ينكرون أنها من الله تعالى، يقولون: هذه النعم كانت لآبائنا فورثناها منهم.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ﴾.

ذكر الأكثر والمراد الجميع؛ لأن عظم الشيء يقوم مقام جميعه، فذكر الأكثر كذكر الجميع، وهذا كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[٢]

وقيل: ذكر الكثرة لأن فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن لم يبلغ حَدَّ التكليف.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

قال الفخر الرازي: اعلم أنه تعالى لما بين من حال القوم أنهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها وذكر أيضًا من حالهم أن أكثرهم الكافرون أتبعه بالوعيد، فذكر حال يوم القيامة فقال: ويوم نبعث من كل أمة شهيدًا

١ - سورة النحل: الآية/ ٨٣، ٨٤

٢ - سورة النحل: الآية/ ٧٥

وذلك يدل على أن أولئك الشهداء يشهدون عليهم بذلك الإنكار وبذلك الكفر، والمراد بهؤلاء الشهداء الأنبياء.[1]

يخبر الله تعالى عن حال المشركين الذين كانوا يجحدون نعم لله تعالى، أن أنبياءهم سيشهدون عليهم بما كانوا عليه من الكفر بالله والإنكار لنعمه، وأنهم لا يؤذن لهم يوم القيامة في الاعتذار عما كانوا عليه من الكفر والجحود، فلا يسمع لهم ولا يقبل منهم؛ كما قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.[2]

﴿وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

أي: ولا يُطلب منهم أن يرجعوا إلى ما يُرضي اللهَ تعالى؛ لأن الآخرة ليست بدار تكليف.

قال ابن عباس: انقطع العتاب وانقطعت المعذرة وحَلّ بهم الخزي.[3]

١ - تفسير الرازي (٢٠/ ٢٥٥)

٢ - سورة المرسلات: الآية/ ٣٦

٣ - التفسير البسيط (١٣/ ١٦٥)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٥) وَإِذا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكاءَهُمْ قالُوا رَبَّنا هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ﴾.[1]

يخبر الله تعالى عن حال المشركين عند معاينة العذاب فيقول: ﴿وَإِذا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذابَ﴾؛ أي: الذي أشركوا وصفوا بالظلم لأنهم عبدوا من لا يستحق العبادة، ورؤية العذاب في أرض المحشر كما قال الله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها وَلَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً﴾ [الكهف: ٥٣]، وكما قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى﴾ [النازعات: ٣٦]، وفي الكلام حذف اختصار تقديره: رأوا أمرًا فظيعًا وخطبًا جسيمًا بغتهم واشتدَّ عليهم، فسألوا التخفيف والإمهال.

﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾.

هذه الفاء هي التي يقال لها الفصيحة؛ والمعنى: فلا يخفف عنهم العذاب، ويؤخرون إذا سألوا ذلك.

وقيل: جملة ﴿فَلا يُخَفَّفُ﴾، جواب الشرط، وقرن بالفاء لتأكيد معنى الشرطية، والأول أولى لأن الفعل المضارع إذا وقع جواب إذا لا يقترن بالفاء.

﴿وَإِذا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكاءَهُمْ﴾.

يعني أوثانَهم الذين عبدوهم من دون الله وجعلوهم شركاء لله تعالى.

﴿قالُوا رَبَّنا هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾.

قالوا يا ربنا هؤلاء الذين كنا نعبدهم من دونك، هم الذين أضلونا، وكانوا راضين بذلك، أرادوا بذلك أن يشركوهم في العذاب.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٨٣- ٨٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

فنطقت الأوثان بتكذيبهم وأنها لم تكن آلهة، ولا أمرتهم بعبادتها؛ كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَاّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾.[١]

١ - سورة مريم: الآية/ ٨١، ٨٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ بِما كانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.[1]

يقول الله تعالى: وألقى هؤلاء المشركون في ذلك اليوم ﴿السَّلَمَ﴾؛ أي: الاستسلام والإذعان والخضوع، وذلك حين يتبرؤ بعضهم من بعض وتشهد عليهم الأعضاء والجوارح.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

غابت عنهم أوثانهم فلم تشفع لهم، ولم تقربهم إلى الله كما كانوا يزعمون في الدنيا.

قال ابن عباس: يريد ذهب ما زَيَّنَ لهم الشيطان أن لله شريكًا أو ولدًا وصاحبة.[2]

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ﴾.

زادهم الله تعالى عذابًا فوق العذاب الذي قُدِّرَ لهم على كفرهم بالله تعالى، بسبب صدهم عن سبيل الله؛ كما قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]؛ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.[3]

﴿بِما كانُوا يُفْسِدُونَ﴾.

أي: بكفرهم بالله تعالى، وصدهم عن سبيله.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٨٧- ٨٩

٢ - التفسير البسيط (١٣/ ١٦٨)

٣ - سورة العنكبوت: الآية/ ١٢، ١٣

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي: نبيًّا يشهد عليهم بين يدي الله تعالى لمن آمن به ومن صدَّ عنه.

﴿وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ﴾.

أي: وَجِئنا بِكَ يا محمد صلى الله عليه وسلم شَهِيدًا عَلى أمتك، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام.

﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

يعني القرآن، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنا﴾، صيغة مبالغة من فعَّل التي تفيد التكثير باعتبار كونه نزل منجمًا، ﴿تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، تِفْعالًا من البيانِ.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ الله أنزل في هذا الكتاب تبيانًا لكل شيء، ولقد علمنا بعضًا مما بين لنا في القرآن. ثُمَّ تلا: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، قال: بالسنة.[1]

فما كانَ فيه مُجْمَلًا، فَصلته السنة، و(كلّ) هنا المراد كل شيء يحتاج إلى بيان فهي للتَّكثير، لا للإحاطة والتَّعميم؛ كما قال تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾.[2]

﴿وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

هُدًى من الضلالةِ؛ ﴿وَرَحْمَةً﴾ للخلق جميعًا، ﴿وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ بما أعده الله تعالى لهم من الجنةِ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾.[3]

١ - تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٧)

٢ - سورة الأحقاف: الآية/ ٢٥

٣ - سورة الإسراء: الآية/ ٩

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[1]

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى أنه أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيء، ذكر الله تعالى هنا أنه يأمر في الكتاب بأصول الهدى ومعالم الخير والشر؛ ودل على ذلك ما ثبت عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: جَلَسَ شُتَيْرُ بْنُ شَكَلٍ، وَمَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ، فَقَالَ شُتَيْرٌ، لِمَسْرُوقٍ: حَدِّثْ بِمَا سَمِعْتَ عَبْدَ اللهِ وَأُصَدِّقُكَ، أَوْ أُحَدِّثُ وَتُصَدِّقُنِي، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ يَقُولُ: "إِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِخَيْرٍ وَشَرٍّ آيَةٌ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ، وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]" قَالَ: صَدَقْتَ.[2]

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾.

يخبر الله تعالى أنه يأمر بالعدل وهو الإنصاف ومن الإنصاف صرف العبادة للخالق الرازق المحيي المميت سبحانه وتعالى، وصرف شيء من العبادات لغير الله تعالى منافٍ للإنصاف، فليس من الإنصاف أن يخلق اللهُ ويُعبد غيره؛ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]؛ لذلك قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله، وفي رواية العدل: خلع الأنداد.

﴿وَالْإِحْسانِ﴾. مشتق من الحُسْنِ وهُو ضد القبْح، وهو فِعلُ النَّافِعِ الملائِم، وهو ذروة كل شيء، وفي الحديث: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، وفي المعاملات الفضل والزيادة عن العدل.

---

١ – سورة النحل: الآية/ ٩٠

٢ – رواه سعيد بن منصور في التفسير– رقم: ١٢٤٢، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ٨٦٥٨، والحاكم في المستدرك–كتاب التفسير، تفسير سورة النحل، حديث رقم: ٣٣٥٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن عباس: الإحسان: أداء الفرائض.[1]

وفي رواية الإحسان: تعبد الله كأنك تراه، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك.

﴿وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى﴾.

أي: إعطاءِ ذي القربى وبِرُّهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾.[2]

﴿وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾.

وينهى عن المحرمات من الذُّنوب المفرِطة في القُبح، ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾: ما يُنْكَر شرعًا أو عقلًا من الذنوب التي يجاهر بها صاحبها، ﴿وَالْبَغْيِ﴾: العدوان على الناس.

قال ابن عباس: فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ قَالَ: شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، ﴿وَالإِحْسَانِ﴾ قَالَ: أداء الفرائض ﴿وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى﴾ إعطاء ذوي الرحم الحق الّذِي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ قَالَ: الزنا ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾، قَالَ: الشرك، ﴿وَالْبَغْيِ﴾ قَالَ: الكبر والظلم: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ قَالَ: يوصيكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[3]

﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

يحذِّركم مغبةَ مخالفةِ أمرِه؛ لتعتبروا.

---

١ - تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٥)

٢ - سورة الإسراء: الآية/ ٢٦

٣ - تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٩)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.[1]

سبب نزول الآية:

قيل نزلت هذه الآية تثبيتًا لقلوب المسلمين الأوائل الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، حال كثرة المشركين وسطوتهم، وقلته المؤمنين وضعفهم؛ عَنْ مزيدة بن جابر فِي قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ﴾، قَالَ: نَزَلَتْ هذه الآية في بيعة النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، كَانَ مِنَ أسلم بايع عَلَى الإسلام فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها﴾، فلا تحملنكم قلة مُحَمَّد وأصحابه وكثرة المشركين إِنَّ تنقضوا البيعة التي بايعتم عَلَى الإسلام.[2]

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ﴾.

يقول الله تعالى للمؤمنين: وأوفوا بميثاق الله واثْبُتوا على ما عاهدْتُم اللَّهَ عليه، وبايعْتُم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان، هذا على القول بأن سبب نزول الآية تثبيت المؤمنين على ما عاهدوا الله عليه من الإيمان، والأولى أن يقال: إن المراد من الآية الأمر بالوفاء بكلِّ عهدٍ يحسن في الشريعة الوفاء به؛ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقيل: العهد هاهنا هو: اليمين. قال الشعبي: العهد يمين وكفارته كفارة يمين.

﴿وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها﴾.

أي: ولا تنقضوا أيمان هذه البيعة ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِها﴾؛ بعد إحكامِ عقدِها على أنفسكم.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٩١

٢ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٢٦٣٨

ويحتمل أن يكون النهي عن نقض الأيمان من باب ذكر الخاص بعد العام؛ فإن الوفاء بالأيمان من الوفاء بالعهد، وخص اليمين بالذكر تنبيهًا على أنه أولى أنواع العهد بوجوب الرعاية.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾.

وقد جعلتم الله عليكم شهيدًا ووكيلًا؛ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: وَلا تَنْقُضُوا الإِيمَان بَعْدَ تَوْكِيدِهَا قَالَ: تغليظها في الحلف: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾، قَالَ: وكيلًا.[1]

وعن سَعِيدِ بنِ جبيرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ يَعْنِي: بَعدَ تغليظها وتشديدها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾، يعني: في العهد شهيدًا.[2]

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

من البرِّ ونقضِ العهدِ، فيجازيكم به.

١ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٢٦٣٩

٢ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ٨١٠٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.[1]

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالوفاء بعهد الله تعالى، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها، ضرب لهم مثلًا يبين لهم فيه خطر نقض الأيمان، وقبح النكث فيها؛ فقال: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾، فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أحمق هذه!

قال ابن زيد: هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذي يعطيه، ضرب الله هذا له مثلا بمثل التي غزلت ثم نقضت غزلها، فقد أعطاهم ثم رجع، فنكث العهد الذي أعطاهم.[2]

قال مجاهد وقتادة: وذلك ضرب مثل، لا على امرأة معينة.[3]

وقال السدى: كانت امرأة بمكة، كانت تسمى خرقاء مكة، كانت تغزل فإذا أبرمت غزلها تنقضه.[4]

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾ أي: بعد إحكام وإبرام، وقوله: ﴿أَنْكَاثاً﴾ أي: إنقاضًا وقطعًا.

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾.

الدخل الدغل، وهو قصد الخديعة، وأصله: ما يدخل الشَّيءَ ولم يكن منه للفساد، والمراد: تَدخلون في الأيمان مكرًا وخداعًا، وفي نيَّتكُم الغدرُ بمن حلفتُم له.

﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾.

الأمة هنا الجماعة، وأربى: أكثر عددًا، أي: تفعلون ذلك لأنكم وجدتم جماعة أكثر عددًا، وقوة ومالًا من التي عاهدتموها.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٩٢

٢ - تفسير الطبري (١٤/ ٣٤٣)

٣ - تفسير ابن عطية (٣/ ٤١٨)

٤ - تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٠)

قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز، فنهوا عن ذلك.[1]

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾.

إنما يختبركم الله في الوفاء بالعهد بالقلة والكثرة.

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

فيثيبَ أهل الوفاء بالعهد، ويعاقب أهل الخيانة والغدر.

١ - تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٠)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِما صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (٩٤) وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّما عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[1]

يقول الله تعالى: ولو شاء الله لجعلكم أيها الناس أمة واحدة على ملة واحدة ودين واحد.

قال ابن عباس: يريد على ملة وعلى دين واحد.[2]

﴿وَلكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾.

ولكن اقتضت حكمته تعالى أن يضل من يشاء بعدله، ويهدي من يشاء بفضله.

﴿وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وهذه الآية ردٌّ على القدرية والجبرية؛ ردٌّ على القدرية حيث أضاف الضلالة والهداية إلى نفسه وجعلهما لمن شاء من خلقه بالمشيئة الأزلية؛ فقال: ﴿وَلكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾.

وردٌّ على الجبرية حيث أخبر أنهم يسألون عن أعمالهم؛ فقال: ﴿وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.[3]

﴿وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها﴾.

صرح الله تعالى بالنهي عن المكر والخديعة في الأيمان، وكرر النهي، تأكيدًا له، وإظهارًا لعظم المنهي عنه، ومبالغة في قبحه، ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها﴾، عن الأيمان بعد المعرفة بالله والاستقامة على أمره.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٩٣- ٩٥

٢ - التفسير البسيط (١٣/ ١٨٤)

٣ - سورة الأنبياء: الآية/ ٢٣

قال أبو عبيدة: هذا مَثَل يقال لكل مبتَلَىً بعد عافية، أو ساقط في ورطة بعد سلامة: زلّت به قَدَمه.

﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِما صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾.

أي: وتذوقوا السوء في الدنيا بصدكم عن سبيل الله بسبب أيمانكم التي انطوت على المكر والخديعة، ومع ذلك لكم عذاب عظيم يوم القيامة.

﴿وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾.

أي: ولا تنقضوا عهودكم، تطلبون بنقضها عرضًا قليلًا من الدنيا، ولكن أوفوا بها.

﴿إِنَّما عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

إن الذي عند الله من الأجر والثواب على الوفاء بالعهد، خير لكم إن كنتم تنتفعون بالعلم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[1]

لما ذكر الله تعالى أن من أسباب نقض العهد الطمع في المال ونهى عن ذلك بقوله: ﴿وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾، بين الله تعالى هنا أن ما يسعى العباد لتحصيله من المال وغيره من أسباب الدنيا يفنى ويزول، وأن ما عند الله من الثواب والكرامة باقٍ لا زوال له.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

اللام هنا هي الموطئة للقسم، للتأكيد على عظم أجر الصابرين، ويدخل فيه الصبر على الطاعات، والصبر عن المحرمات، والصبر على الأقدار المؤلمة، فيجزيهم الله تعالى على أعمال بأحسن عمل عملوه ويتجاوز عن سيئاتهم؛ كما قال تعالى: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فِي أَصْحابِ الْجَنَّةِ﴾.[2]

﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً﴾.

هذا وعدٌ وَعَدَ الله تعالى به المؤمنين أنه من عمل صالحًا وهو ما خالصًا لله تعالى، وموافقًا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسواء كان العامل ذكرا أو أنثى أن يتقبله الله تعالى منه وأن يحيي في الدنيا حياة طيبة، يرضى فيه بما قسمه الله، وينشرح صدره بما رزقه الله من الإيمان.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الحياة الطيبة: القناعة.[3]

١ - سورة النحل: الآية/ ٩٦، ٩٧

٢ - سورة الأحقاف: الآية/ ١٦

٣ - أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني (ص: ١٢٥)

عن أبي الرَّبيع، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: سُئل عن هذه الآيةِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً﴾؛ قال: الحياةُ الطَّيِّبةُ: الرِّزقُ الحلالُ، وإذا صارَ إلى ربِّه جازاه بأحسنِ ما كان يعملُ.[1]

وقال الضحاك: هي العمل بالطاعة والانشراح بها.[2]

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

يعني: في الآخرة، وليس في الكلام تكرَار؛ لأن الأول في حق الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظوا، وهذا في كل من آمن وعمل صالحًا.

١ - سنن سعيد بن منصور (٦/ ٧٩)

٢ - تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠١)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ﴾.[1]

مناسبة الآية لما قبلها:

لما قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، أرشده الله تعالى إلى الاستعاذة عند إرادة قراءة كلامه تعالى.

﴿فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ولمن أراد قراءة القرآن: ﴿فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ﴾، وفي الكلام حذف اختصار تقديره: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله...؛ كما يقول القائل: إذا صاحبت فصاحب الصالحين؛ أي: إذا أردت المصاحبة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ [المائدة: ٦]، والمعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وكقوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]؛ أي: إذا أردتم تطليق النِّساء، فالاستعاذة تكون قبل القراءة وهو قول جمهور أهل العلم، وخالف بعضهم فقال الاستعاذة بعد القراءة لظاهر هذه الآية.

وما يدل على أن الاستعاذة تكون قبل القراءة ما روي عَن نَافِعِ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ، عَن أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، حِينَ افْتَتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا» قَالَهَا ثَلَاثًا، «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا» قَالَهَا ثَلَاثًا، «وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» قَالَهَا ثَلَاثًا، «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ».[2]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٩٨

٢ - رواه ابن أبي شيبة في مصنفه- كتاب الصلوات، باب فيما يفتتح به الصلاة، حديث رقم: ٢٣٩٦، البيهقي في معرفة السنن والآثار- كتاب الصلاة، التعوذ بعد الافتتاح، حديث رقم: ٣٠٠٩

وعَنِ ابنِ مَسعُودٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَنَفْخِهِ وَهَمْزِهِ وَنَفْثِهِ».[1]

وجمهور العلماء على أن الأمر بالاستعاذة للندب لا للوجوب.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

أي: فامتنِعْ به واعتصِمْ، والرجيم أي: الملعون، وهو فعيل بمعنى المفعول، والمعنى: إذا أردت القراءة فاعتصم بالله من إبليس الملعون.

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٣٨٣٠، وابن أبي شيبة في مسنده- حديث رقم: ١٨٩، ومصنفه- حديث رقم: ٢٩١٢٣، بسند صحيح

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) وَإِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.[١]

يقول الله تعالى إن الشيطان ليس له حجة على الذين آمنوا في إغوائهم ودعائهم إلى الضَّلالة.

﴿وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

في الاعتصام من كيد الشطان ودفع وساوسه، واعتماد قلوبهم على الله تعالى وحده، والبراءة من الشرك.

﴿إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾.

إنما سلطان الشيطان على الذين يحبونه ويسارعون في طاعته؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [سبأ: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.[٢]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾.

أي: والذين يعبدونه من دون الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.[٣]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٩٨- ١٠١

٢ - سورة إبراهيم: الآية/ ٢٢

٣ - سورة يس: الآية/ ٢٢

﴿وَإِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

يخبر الله تعالى أنه إذا نسخ آية بآية تلاوة أو حكمًا، أو تلاوة وحكمًا، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ﴾، جملة معترضة، لبيان أن أفعاله تعالى لا تخلو من حكمة، فقد يكون النسخ ابتلاءً للعباد، وقد يكون تخفيفًا لحكم شرعي؛ كما قال تعالى: تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها﴾.[1]

﴿قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

قال المشركون لجهلهم وسفاهة عقولهم وعدم إيمانهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنت متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿بَلْ﴾ إضراب عن الافتراء الذي نسبوه إليه؛ أي: ليس الأمر كما يزعمون، ولكنهم جاهلون بحكمة النسخ، ومصالح العباد، وإنما قال: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾؛ لأن منهم من يعلم أنه وحيٌ من الله لكن ينكره عنادًا.

١ - سورة البقرة: الآية/ ١٠٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.[1]

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد ردًّا على أولئك الذين يقول لك: إنما أنت مفتر، قل لهم: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾، والقدس يعني المقدس وهو المطهر جبريل عليه السلام.

قال الواحدي: وإنّما سُمي جبريل رُوحًا؛ لأنه بمنزلة الأرواح للأبدان تحيا بما يأتي من البيان عن الله عز وجل من يُهدَى به، كما قال عز وجل: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، أي: كان كافرًا فهديناه.[2]

وقوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾؛ بيان أنه كلام الله تعالى سمعه جبريل عليه السلام من الله تعالى وبلغه لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾: يعني: الذي لا يخالطه باطل.

﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

يثبت به قلوبهم على الإيمان لما تشتمل عليه آياته من دلائل الإعجاز، والإخبار بالمغيبات.

﴿وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

لما تشتمل عليه آياته من توحيد الله والقصص والوعد والوعيد؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾.[3]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١٠٢

٢ - التفسير البسيط (٣/ ١٣٠)

٣ - سورة الإسراء: الآية/ ٩

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.[1]

سبب نزول الآية:

روى الواحدي عن عبد الله بن مسلم، قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر، اسم أحدهما: يسار، والآخر جبر، وكانا صيقلين[2] يقرآن كتبا لهما بلسانهما، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهما فيسمع قراءتهما، فكان المشركون يقولون: يتعلم منهما. فأنزل الله تعالى فأكذبهم: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.[3]

يقول الله تعالى: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون، تنفيرًا للناس عن دين الله تعالى، وصدًّا عن سبيله: إنما يعلم محمدا هذا القرآن بشرٌ، وليس كما يزعم أنه كلام الله أوحاه إليه.

واللام هي الموطئة للقسم، وقد للتحقيق، والمعنى: لا يخفى علينا ما يقولونه، وفيه إشارة إلى أنهم كانوا يخفون هذا القول لعلمهم ببطلانه، وإنما كان يقوله كبراؤهم لأتباعهم تنفيرًا لهم عن دين الله.

﴿لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾.

اللسان: اللغة، وأصل الإلحاد: الإمالة، ثم استُعير لكل إمالةٍ عن الاستقامة فقالوا: ألحد فلانٌ في قوله، وألحد في دينه. يقول تعالى: لغة الذي يميلون إليه وينسبون إليه القرآن لغة أعجمية.

قال الفراء والراغب: الأعجم الذي في لسانه عجمة وإن كان في العرب والأعجمي هو الذي أصله من العجم. وقال أبو علي الفارسي: العجمي المنسوب إلى العجم الذي لا يفصح سواء كان من العرب أو

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١٠٣

٢ - الصيقل: صانع السيوف.

٣ - التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٨٤)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٩١)

من العجم وكذلك الأعجم والأعجمي المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحًا بالعربية والأعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب.

﴿وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

وهذا القرآن المعجز نزل بلسان عربي مبين، فكيف ينطق الأعجمي بهذا الكلام المعجز؟

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥) مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

يقول الله تعالى: إن الذين لا يؤمنون بآيات الله المنزلة على رسوله صلى الله عليه وسلم لا يوفقهم الله تعالى لمعرفة الحق، ولا يشرح صدورهم لقبوله، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

لما قالوا لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾، ردَّ الله تعالى عليهم فقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعني: أنَّ المستَحقَّ لاسم المفتري هم الذين كفروا بالله تعالى، الذين لا يؤمنون بآيات القرآن، و(إنما) للقصر؛ أي: لا يفتري الكذب إلا أولئك المشركون.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

يعني وأولئك الذين لا يؤمنون بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة، والكذب وصف لازم لهم لا ينفك عنهم؛ كقول الرجل لغيره: كذبت وأنت كاذب، أي: كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

يحتمل أن يكون قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ بدلٌ من ﴿الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ جملة معترضة، ويحتمل أن يكون مبتدأ خبره محذوف دلَّ عليه قوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾.

يقول الله تعالى من كفر بالله بعد إيمانه به وعلمه بدلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وشرح صدره بالكفر ورضي به واطمأن إليه، من كان هذا شأنه منهم فعليهم غضب من الله؛ لأنهم علموا الحق

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١٠٣- ١٠٦

وحادوا عنه، ولهم عذاب عظيم في الآخرة على كفرهم بالله تعالى بعد إيمانهم؛ إلا من أكره على الكفر بقول أو فعل وقلبه مطمئن بالإيمان، فلا يضره ما قال ما دام مكرهًا.

ونزلت هذه الآية في عمار بن ياسر؛ كما قال ابن عباس؛ فعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ثُمَّ تَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا وَرَاءَكَ؟» قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قَالَ: مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ قَالَ: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ».[1]

١ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٢٦٦٧، والحاكم في المستدرك- حديث رقم: ٣٣٦٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (١٠٧) أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ (١٠٨) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

يقول الله تعالى: استحق هؤلاء المشركون العذاب العظيم؛ وحل بهم غضب الله، من أجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا وآثروها على الآخرة وما فيها من النعيم المقيم، والله تعالى لا يوفق للإيمان القوم الذين أعرضوا عن عبادته، وكذبوا رسله.

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾.

أولئك الذين ختم الله على قلوبهم فلا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كفر، ولا تؤثر فيها موعظة، وختم على سمعهم فلا يسمعون سماع إجابة، وختم لا أبصارهم، فلا يبصرون للهدى طريقًا، ولا ينتفعون بآية كونية إذا رأوها، ﴿وَأُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾؛ أي: وهم مع ذلك في غفلة عما يراد بهم.

﴿لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾.

أي: حقا أنهم في الآخرة هم المغبونون؛ لأنهم خسروا أنفسهم وأهاليهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال قتادة: نزلت في قوم خرجوا مهاجرين إلى المدينة بعد أن فتنهم المشركون وعذبوهم.

(ثم) للترتيب الرتبي، هذا بيان من الله تعالى للذين كانوا مستضعفين بمكة، بعد ما فتنهم المشركون الذين عن دينهم قبل هجرتهم، حتى أعطوا للمشركين ما أرادوا من كلمة الكفر مكرهين، ثم أمكنهم الخلاص

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١٠٣- ١١٠

بالهجرة، فتركوا بلادهم وأهاليهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف، وبألسنتهم بالبراءة منهم، ومما يعبدون من دون الله، وصبروا على جهادهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي: إن ربك لذو ستر لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم؛ من كلمة الكفر بألسنتهم، رحيم بهم فلا يعاقبهم على ما وقع منهم مكرهين.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١١١) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَهُمْ ظالِمُونَ﴾.[1]

في الكلام حذف اختصار تقديره: واذكر يوم تأتي كل نفس، ويحتمل أن يكون متعلقًا بما قبله وهو: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

يقول الله تعالى: يوم تأتي كل نفس تخاصم عن نفسها وتدافع عنها؛ كما قال الله تعالى عنهم أنهم سيقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ الآية وقالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ الآية [الأحزاب: ٦٧]، يحسبون أن ذلك ينفعهم يوم القيامة.

﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

وتعطى كل نفس جزاء عملها وافيًا من خير وشر، ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: لا ينقص من ثواب الخير ولا يزاد على ثواب الشر.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾.

هذا مثل ضربه الله تعالى لمكة؛ فإنها كانت آمنة مطمئنة يأتيها الرزق رغدًا من كل مكان؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧]، فكفر أهلها بالله تعالى وكذبوا رسولهم، وكفروا بأنعم الله، فبدل الله تعالى أمنهم خوفًا، وغناهم فقرًا؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ

١ - سورة النحل: الآية/ ١١١- ١١٣

تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]، قال عبد الله بن عباس، ومجاهد وقتادة وغيرهم: هي مكة.[١]

﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾.

أي: فابتلاهم الله تعالى بالجوع والخوف حتى ظهر أثر ذلك عليهم من شدة الهزال وتغيُّر اللَّون وسوء الحال فكان كاللِّباس لهم، فلما كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء حتى أكلوا الجيف.

ويحتمل أن يكون اللِّباس هاهنا مصدرًا في معنى الملابسة؛ أي: أذاقَها اللَّه ملابسةَ الجوع والخوف، وملازمة ذلك لهم.

﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

أي: بصنيعهم الذي صنعوه واستمرُّوا عليه، وهو الكفر والتكذيب والعصيان.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

يخبر الله تعالى بما امتن عليهم بهم من بعثة رسوله صلى الله عليه بأنه أرسل إليهم رسولًا منهم يعرفون نسبه، وصدقه وأمانته، ومع ذلك كذبوا فحق عليهم عذاب الله تعالى، وهو ما أصابهم من الجدب والقحط، وما أصابهم من القتل يوم بدر، بسبب ظلمهم وطغيانهم.

---

١ - انظر تفسير الطبري (١٤/ ٣٨٣)، وانظر تفسير عبد الرزاق- رقم: ١٥١٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلا عادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين الله تعالى حال المشركين وما أعده لهم من العذاب الأليم على كفرهم بالله وتكذيبهم لرسولهم الذي أرسله الله تعالى إليهم، وما حل بهم من العذاب، بقوله: ﴿وَلَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَهُمْ ظالِمُونَ﴾ توجه بالخطاب لأهل الإيمان حتى لا يقعوا فيما وقع فيه المشركون من المخالفة والتكذيب.

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً﴾.

أي: فكلوا أنتم أيها المؤمنون مما رزقكم الله من بهيمة الأنعام رزقًا حلالًا مما ذكيتم، ولا تحرموا ما أحله الله لكم كما فعل أولئك المشركون.

﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

فإنه المتفضل بالنعم، ولا تتحقق العبودية إلا بشكره.

وأما ما ذكره بعض المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى للمشركين طعامًا فأمرهم الله تعالى بالأكل منه فلا يصح؛ فإنهم هم الذين ضيقوا على المؤمنين وحاصروا النبي صلى الله عليه وسلم وبني هاشم في الشعب حتى أكلوا ورق الشجر.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١١٤، ١١٥

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

﴿إِنَّمَا﴾، تفيد الحصر، والمراد حصر المحرَّمات في هذه الأشياء الأربعة، الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به؛ أي: هذه هي المحرمات دون ما ابتدعه المشركون، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتقدم الكلام عليها مستوفى في تفسير سورة البقرة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.[1]

مناسبة الآية لما قبلها:

لما حصر الله تعالى المحرمات في الميتة الدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، بين تعالى أن الزيادة على تلك المحرمات والنقص منها افتراء على الله تعالى، والمراد بذلك التشنيع على المشركين الذين حرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وأباحوا الميتة وحرموا المذكاة، وقولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَمُحَرَّمٌ عَلى أَزْواجِنا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ﴾.[2]

﴿وَلا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهذا حَرامٌ﴾.

يقول الله تعالى مخاطبًا المؤمنين ومحذرًا من سلوك سبيل المشركين الذين حرموا ما أحله الله وأحلوا ما حرمه الله تعالى افتراءً عليه: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام، فتكون ما هنا مصدرية.

﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾.

اللام هنا لام العاقبة؛ أي: لتختلقوا على الله الكذب؛ لأن الذي يقول ذلك ينسب ذلك التحريم والتحليل إلى الله، فيقول إن الله أمرنا بهذا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾.

لا حظ لهم ولا نصيب في الآخرة.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١١٤- ١١٧

٢ - سورة الانعام: الآية/ ١٣٩

﴿مَتاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

هذا بيان للذي يحمل كثيرًا من الذين يحلون ما حرمه الله ويحرمون ما أحله الله تعالى، وهو اشتراهم بدين الله ثمنًا قليلًا وعرضًا زائلًا، لذلك حذر الله تعالى منه، وتوعد فاعله بالعذاب الأليم يوم القيامة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا مَا قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى ما حرمه على هذه الأمة من المطعومات بقوله: ﴿إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [النحل: ١١٥]، ذكر سبحانه ما حرمه على اليهود خاصة لظلمهم واعتدائهم.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا مَا قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾.

يقول الله تعالى: وحرمنا على اليهود خاصة ما تقدم ذكره وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ.....﴾ الآية، [الأنعام: ١٤٦]، وتقديم الجر للاختصاص؛ والمعنى: وعلى اليهود خاصة حرمنا كل ذي ظفر.....

﴿وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وما ظلمناهم بتحريمنا ذلك عليهم، ولكن جزيناهم ببغيهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾ [النساء: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصادِقُونَ﴾.[2]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١١٨، ١١٩

٢ - سورة الأنعام: الآية/ ١٤٦

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

لما ذكر الله تعالى ما فعله المشركون من الافتراء عليه، وبين خطره، دعا من تلبس بتلك المعصية وغيرها إلى التوبة، وفتح باب التوبة لعباده على مصراعيه، حتى لا يقنط أحد من رحمته تعالى، وكل من عمل السوء فإنما يعمله بالجهالة، كما قال ابن عباس وغيره وتقدم الكلام على ذلك في سورة النساء.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَباهُ وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[1]

﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

تقدم أن لفظ الأمة يطلق ويراد به عدة معانٍ منها الرجلُ المطيعُ للَّهِ تعالى، الذي يقتدَى به في الخيرِ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وهذا المعنى هو المراد هنا؛ أي: إن إبراهيم خليل الله كان معلم خير يأتم به أهل الهدى، ﴿قانِتاً لِلَّهِ﴾، طائعًا له تعالى، ﴿حَنِيفاً﴾، مائلًا عن الباطل طرائق أهل الشرك، مستقيمًا على الإسلام، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ولم يكن دينه ما تَدينون به أيُّها المشركون.

﴿شاكِراً لِأَنْعُمِهِ﴾.

كان قائمًا بشكر نعم الله عليه.

﴿اجْتَباهُ﴾.

اختاره واصطفاه؛ كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ﴾.[2]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١٢٠- ١٢٣

٢ - سورة ص: الآيات/ ٤٥- ٤٧

﴿وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

شرح الله تعالى صدره لتوحيد، ووفقه إلى طريق الحقِّ المفضي إلى الجنَّة؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾.[1]

﴿وَآتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وآتيناه على طاعته لله وشكره على نعمه وتوحيده ذكرًا حسنًا وثناءً جميلًا باقيًا على الأيام.

قال ابن عباس: يعني الذكر الحسن.[2]

وقال مجاهد: لسان صدق في الآخرين.[3]

وقال قتادة: ليس من أهل دين إلا يتولاه ويرضاه.[4]

وقال الحسن: هي النبوة.[5]

وقال مقاتلُ بن حيَّان: الصَّلاة عليه على لسان هذه الأمَّة في صلواتهم.[6]

وقيل: حسنة اسمٌ جامعٌ لكلِّ حالة جميلة، فيتناول كلَّ ما ذكر.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

يقول تعالى: ثم أوحينا إليك يا محمد صلى الله عليه وسلم أن اتبع ملة إبراهيم لكمال توحيده، وسلامة معتقده، وعظيم إخلاصه، وبراءته من الشرك وأهله.

---

١ – سورة الأنبياء: الآية/ ٥١

٢ – التفسير البسيط (١٣/ ٢٢٧)

٣ – تفسير الطبري (١٤/ ٣٩٨)

٤ – تفسير الطبري (١٤/ ٣٩٨)

٥ – التيسير في التفسير (٩/ ٣٤٩)

٦ – التيسير في التفسير (٩/ ٣٤٩)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَاّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.[١]

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم عليه السلام، بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً﴾ وأمر أمته كذلك باتباع ملته؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]، ولما كان اتباع الأنبياء سعادة الدنيا والآخرة، وفي مخالفتهم الشقاء في الدنيا والآخرة بين الله تعالى هنا حال اليهود أنبياء الله عليهم السلام في شأن السبت.

﴿إِنَّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

قال الواحدي: هم اليهود أمروا أن يتفرَّغوا للعبادة في يوم الجمعة فقالوا لا نريده ونريد اليوم الذي فرغ الله سبحانه فيه من الخلق واختاروا السَّبْتَ ومعنى اختلفوا فيه أَيْ: على نبيِّهم حيث لم يطيعوه في أخذ الجمعة فجعل السَّبْتَ عليهم أَيْ: غَلَّظَ وضيَّق الأمر فيه عليهم.[٢]

---

١ - سورة النحل: الآية/ ١٢٤- ١٢٨

٢ - الوجيز للواحدي (ص: ٦٢٣)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومما يدل على ما قاله الواحدي ما رواه البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ؛ الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ».[1]

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

تهديد ووعيدٌ لهم على تبديلهم دين الله تعالى.

﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ادعو الخلق إلى دين الله الإسلام بالحكمة وأصلها الإصابة في القول والفعل، والمراد هنا الدليلُ الموضحُ للحق المزيلُ للشبهة، والموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب والترهيب بلطف ولين.

﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وجادلهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.[2]

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

لما قسم الله تعالى أصناف المدعوين إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة وهؤلاء الذين ينقادون إلى الحق بمجرد معرفة الدليل المزيل للشبهة، وهؤلاء المشار إليهم بقوله: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾.

---

١ – رواه البخاري– كتاب الجمعة، باب فرضِ الجمعة لقول الله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، حديث رقم: ٨٧٦، ومسلم– كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم: ٨٥٥

٢ – سورة العنكبوت: الآية/ ٤٦

القسم الثاني: أصحاب الفطرة السليمة، وهم الذين يؤثر فيهم الوعظ ويردعهم الترهيب، وهؤلاء المشار إليهم بقوله: ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾.

القسم الثالث: أصحاب جدال وخصام ومعاندة، وهؤلاء المشار إليهم بقوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أخبر الله تعالى أنه أعلم بحال كل فريق منهم فمنهم من يكفيه قليل الوعظ ومنهم من لا خير فيه، ولا تجدي معه حيلة؛ لذلك قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.[1]

﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.

سبب نزول الآية:

أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ مِنْهُمْ حَمْزَةُ، فَمَثَّلُوا بِهِمْ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، فَقَالَ رَجُلٌ: لَا قُرَيْشَ بَعْدَ اليَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُفُّوا عَنِ القَوْمِ إِلَّا أَرْبَعَةً».[2]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ نَظَرَ إِلَى حَمْزَةَ وَقَدْ قُتِلَ وَمُثِّلَ بِهِ، فَرَأَى مَنْظَرًا لَمْ يَرَ مَنْظَرًا قَطُّ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ وَلَا أَوْجَلَ، فَقَالَ: «رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ، فَقَدْ كُنْتَ وَصُولًا لِلرَّحِمِ، فَعُولًا لِلْخَيْرَاتِ، وَلَوْلَا حُزْنُ مَنْ بَعْدَكَ عَلَيْكَ لَسَرَّنِي أَنْ أَدَعَكَ حَتَّى تَجِيءَ مِنْ أَفْوَاجٍ شَتَّى». ثُمَّ حَلَفَ وَهُوَ وَاقِفٌ مَكَانَهُ: «وَاللهِ لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ». فَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَكَانِهِ لَمْ يَبْرَحْ بَعْدُ: ﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا

---

١ – سورة البقرة: الآية/ ٢٧٢

٢ – رواه الترمذي–أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة النحل، حديث رقم: ٣١٢٩، بسند صحيح

بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾. حَتَّى تُخْتَمَ السُّورَةُ، فَكَفَّرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَمْسَكَ عَمَّا أَرَادَ.[1]

يقول الله تعالى ذكره مخاطبًا المؤمنين: وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم، فعاقبوه بمثل إساءته، ولئن عفوتم عنه وتركتم عقوبته، واحتسبتم ذلك عند الله تعالى فهو خير لكم.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾، وما قال: لهو خير لكم، لبيان فضل لصبر ومنزلة الصابرين.

﴿وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَاّ بِاللَّهِ﴾.

هذا خطاب للنَّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول تعالى له: واصبر على الدعوة إلى الله تعالى، ﴿وَما صَبْرُكَ إِلَاّ بِاللَّهِ﴾؛ أي: بتوفيقِه، ومعونته فاسأله التَّوفيق.

وقيل: اصبر بالعفو عن المعاقبة على المثلة.

﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

أي: ولا تحزن على المشركين لإيثارهم الكفر على الإيمان، وكان يحزن عليهم لكمال شفقته ورحمته؛ كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ [الشعراء: ٣]؛ وقال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾.[2]

١ - رواه البزار- حديث رقم: ٩٥٣٠، الطبراني في الكبير- حديث رقم: ٢٩٣٧، والحاكم- كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، حديث رقم: ٤٩٥٥، وفي سند صالح المري وهو ضعيف.

٢ - سورة فاطر: الآية/ ٨

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

يخبر الله تعالى أنه مع عباده المتقين معية خاصة برحمته ونصره وتأييده وتوفيقه، وهم الذين يعظمون أمره، ويخشون عذابه، ويجتنبون محارمه، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، أي: بلغوا غاية الحسن في الاعتقاد والعبادات والمعاملات، وعلى هذا يكون في الآية ترقي من الأدنى إلى الأعلى.

وقيل: ذكر التقوى إشارة إلى تعظيمهم لأمر الله تعالى، وذكر الإحسان إشارة إلى شفقتهم على الخلق، وكمال سعادة الإنسان في هذين الأمرين: تعظيم أمر الله تعالى، والشفقة على الخلق.

آخر تفسير سورة النحل ولله الحمد والمنة، ونسأله تعالى الإعانة والتوفيق للإتمام.

المحتويات

مقدمة ٣
تفسير سُورة الحجرِ ٤
بين يدي السورة: ٤
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾. ٧
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَها كِتابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَما يَسْتَأْخِرُونَ (٥) وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ﴾..... ٩
مناسبة الآيات لما قبلها: ٩
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (٩) وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (١١) كَذلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾..... ١١
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) وَلَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاها لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ﴾..... ١٣
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ (٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾. ١٥
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾. ١٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قالَ يا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾. ٢٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾. ٢٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ هَذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾. ٢٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ (٤٧) لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ (٤٨) نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ﴾. ٢٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾. ٢٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قالُوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقانِطِينَ (٥٥) قالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ (٥٦) قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلاّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلاّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ﴾. ٣٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قالُوا بَلْ جِئْناكَ بِما كانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْناكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ وَلا

يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) وَجاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قالَ إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ﴾..... ٣٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعالَمِينَ (٧٠) قالَ هؤُلاءِ بَناتِي إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾..... ٣٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كانَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ لَظالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وَإِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ (٧٩) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَآتَيْناهُمْ آياتِنا فَكانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ (٨١) وَكانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَما أَغْنى عَنْهُمْ مَا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾. ٣٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٦) وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾. ٣٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾. ٤٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ٤٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾..... ٤٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾..... ٤٦

تفسير سورة النحل ٤٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾..... ٤٨
بين يدي السورة: ٤٨
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾. ٥٣
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾. ٥٥
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْها جائِرٌ وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. ٥٧
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾. ٥٩
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. ٦١
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ٦٣
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾. ٦٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣) وَإِذا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَمِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ مَا يَزِرُونَ﴾. ٦٧

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾. ٦٩

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكافِرِينَ﴾. ٧١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾. ٧٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَلَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ كَذلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾. ٧٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ مَا عَمِلُوا وَحاقَ بِهِمْ مَا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾. ... ٧٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾. ٧٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِنْ تَحْرِصْ عَلى هُداهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾. ٨٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كانُوا كاذِبِينَ (٣٩) إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾..... ٨٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. ٨٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾..... ٨٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾. ٨٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾. ٩١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ واصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾..... ٩٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. ٩٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِما لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾..... ٩٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾. ٩٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) وَلَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. ١٠٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (٦٢) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾. ١٠٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾. ... ١٠٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. ١٠٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. ١٠٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلى مَا مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾. ١١٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾. ١١٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾. ١١٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾. ١١٦
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلى مَوْلاهُ أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. ١١٨
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧) وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. ١٢٠
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوافِها وَأَوْبارِها وَأَشْعارِها أَثاثاً وَمَتاعاً إِلى حِينٍ﴾. ١٢٢
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾. ١٢٤
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها وَأَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ (٨٣) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾. ١٢٦
مناسبة الآية لما قبلها: ١٢٦
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٥) وَإِذا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكاءَهُمْ قالُوا رَبَّنا هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ﴾. ١٢٨
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذِ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ بِما كانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ١٣٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ١٣٢

مناسبة الآية لما قبلها: ١٣٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ١٣٤

سبب نزول الآية: ١٣٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ١٣٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِما صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (٩٤) وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّما عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١٣٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٤٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ﴾ ١٤٢

مناسبة الآية لما قبلها: ١٤٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) وَإِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ١٤٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾. ١٤٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾. ١٤٧

سبب نزول الآية: ١٤٧

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ (١٠٥) مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾... ١٤٩

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (١٠٧) أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ (١٠٨) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ١٥١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١١١) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَهُمْ ظالِمُونَ﴾. ١٥٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلا عادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ١٥٥

مناسبة الآية لما قبلها:..... ١٥٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾. ١٥٧

مناسبة الآية لما قبلها:..... ١٥٧

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا مَا قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾..... ١٥٩

مناسبة الآية لما قبلها:..... ١٥٩

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَباهُ وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. ١٦١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. ١٦٣

مناسبة الآية لما قبلها:..... ١٦٣

سبب نزول الآية: ١٦٥

المحتويات ١٦٨